9e Année No. 404

Lundi - 31 - 3 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٠٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ — الموافق ٣١ مارس سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــــرس

يوم الفقـــير

تفضل صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا فدعانى أمس إلى زيارته فى داره بالزمالك ؛ ومن طبعى أن أتهيب الزيارة الأولى لأولئك الذين رفعتهم مواهبهم أو مناصبهم عن مستوى العرف ؛ لأن اعتيادهم إمضاء الرأى وإنفاذ الأمر بالصوت الرفيع والسلطان القوى أرهف فى نفوسهم الحس بما يجب لهم على الناس من أدب الجلوس ومصطلح الحديث . والرجل الذى يلف رأسه الحياء، ويعقل لسانه التزايل ، لا يسهل عليه وهو يستمع إليهم أن يعرف متى يصح أن يسأل ، ومتى يجوز أن يعارض ، ومتى ينبغى أن ينصرف

على أننى كثيراً ما جلست إلى بعض هؤلاء، جلسة التحفظ والاستحياء ، فكنت أشعر بعد قليل أن المهابة تنجلى عنى ، وأن الجلالة تنسرى عنه ، حتى أزعم لنفسى أنى أفهم للموضوع وأجدر بالحديث . ولكن على ماهر باشا ليس كأحد من أولئك الطبول ! إنما هو رجل — كما توسمته من وراء لفظه — ألمعى الذهن يكتفى منك باللمحة الدالة ، رصين اللب لا يحرك لسانه إلا بالكلمة المرادة ، رفيع النفس لا يُسرُّ فى مطاوى حديثه عصبية ولا ضغينة . وأخص ما يميز ماهر باشا رسوخ الطبع الاجتماعى فيه . ولعل نبوغه

في القانون الدولي العام على الأخص سر من أسرار هذا الطبع . وأصحاب الفكرة الاجتماعية ينفرون من السياسة الحزبية لأنها فردية مجتمعة ، ولا يميلون إلى الأعمال المالية لأنها أثرة محتالة . وإذا طُلبوا إلى الحكم نهجوا فيه منهاج الدين من تنظيم أمر الجماعة ، وإصلاح حال العامة ، على قدر ما يسعه طوق الإنسان الضعيف من توخي الإحسان وإيثار العدل . فإذا خرجوا منه لم يسموا للدخول فيه ؛ لأن السعي للحكم لا يخلو من خطوات في سبيل الشهوة الذاتية والمنفعة الخاصة . لذلك كان أظهر العزائم وأصدقها في وزارتي علي ماهر باشا سلسلة من الإصلاح الجامعي تتحقق على وجوهها الصحيحة في وزارة الشؤون الاجتماعية والجيش المرابط . وكانت حياة الفلاح والعامل موضوع هذا الإصلاح وموضعه . فلو أن طوارق الحدثان نامت عن مصر حيناً آخر من الدهر لكان من الممكن أن يشعر الفقير بأن له حقاً في خير الله ، وحظاً من نصيب الوطن . ولكن الحرب التي تنمّر أخطارها على الرمال والمياه من حدود (الوادي) لا تتيح لأولي الأمر أن يرصدوا الأهبة كلها لمعالجة الفقر ؛ فلم يكن بد من قيام المعنيين بإصلاح الجماعة ليحلوا هذه المعضلة الأزلية بما حلها به الله ، فيجمعوا المبرات ، ويجبوا الصدقات ، وينظموا الإحسان ، ويسهلوا العمل ، ويوفروا القدرة عليه بمكافحة الجهل والمرض ؛ وذلك هو مشروع الزعيم الاجتماعي علي ماهر باشا ، سماه (يوم الفقير) وجعله يتجدد في تاريخ بعد تاريخ ، ويتحدد في إقليم بعد إقليم ، ليكون مظهراً جميلاً لأريحية النفوس المؤمنة المحسنة ، تتعاون فيه على الخير ، وتتنافس في المعروف ، وتقيم ركن الإسلام الخامس

* * *

حدثني صاحب المقام الرفيع عن سياسته الاجتماعية وما يتذرع لها باليوم الثامن والعشرين من هذا الشهر وما يتلوه من أيام أخر ؛ فسمعت لأول مرة كلاماً له معناه ، ومنهاجاً له غايته . وكان الأخلق بمن سمع كثيراً من القول ، ورأى قليلاً من الفعل ، ألا يبالغ في الثقة ولا يسرف في الأمل ، لولا أن صاحب الفكرة وممضيها علي ماهر باشا ، وهو رجل لم يجرب عليه الناس لغواً في كلام ولا عبثاً في فعل . والحق أن الفقير يستطيع منذ اليوم أن يأوي إلى ركن شديد من عطف المليك ورعاية الحكومة ومعونة الشعب . ولعل مقاومة الحفاء ويوم الفقير هما المحاولتان الجديتان لمحاربة البؤس ومعاونة البائس ؛ لأن المشروع الأول يعتمد على إرادة كريمة ، والمشروع الآخر يستند إلى إرادة حكيمة . وكانت وزارة الشؤون الاجتماعية عسيّة أن تكفي المصلحين هذا الأمر لو أنها انتفعت بما توخاه لها الكتاب من مناهج الرشد ؛ ولكنها حصرت معونتها للفلاح في إقامة الموائد لتفريج الهم عنه ، وتحرير (المجلة) لمعالجة الأمية فيه ! وعسى أن تكون قد بلغت من ذينك مبلغاً يعوض عليها ما تبذل من مال وما تنفق من جهد !

* * *

لقد قطعنا سنة من عمر الرسالة في تذكير المترفين بأن لهم إخوة من خلق الله يأكلون ما تعاف الكلاب من المآكل ، وينامون مع الحيوان في المزابل ، ويقاسون من الأدواء ما لا يقاسيه حيّ في غير مصر ؛ فلم يؤثر فيهم ما كتبناه إلا كما تؤثر النسمات اللينة في الصخر الأصم . ذلك لأن حق الله في أموالهم قد وُكِلَ أداؤه إلى ضمائرهم ؛ والضمائر قد نامت على هدهدة الشهوات ، والعواطف قد قست على جفاف المادة ؛ وبين غفوة الضمائر وقسوة العواطف ذهب وازع الدين ولم يبق إلا وازع السلطان ؛ لذلك لا ينتظر ليوم الفقير ما ينتظر لمقاومة الحفاء من الفوز ، لأن الدافع هناك رهبة الحكومة أو رغبة (الرتبة) ؛ أما الدافع هنا فعاطفة البرّ وهي في أكثر النفوس رسم دارس بين الجشع والأثرة !

* * *

يا أغنياءنا ، لقد جربتم بذل المال في اللهو ، وقتل العمر في العبث ، وفقد الصحة في المجون ؛ فهل كسبتم من وراء ذلك مجداً ، أو وجدتم في عواقبه سعادة ؟ جربوا ولو مرة واحدة أن تمسحوا دمعة على خد حزين ، أو تنفسوا كربة عن قلب بائس ، أو تسهلوا طلب العلم لفقير ، أو تمهدوا سبيل العمل لمتعطل ، أو تشاركوا أبناء الشعب في منفعة عامة ؛ ثم انظروا بعد ذلك كيف يشيع في صدوركم الرخاء ، ويرتفع بقلوبكم الإخاء ، وتنعم نفوسكم في الحياتين بين عاجل المجد وآجل الخلود !

احمد حسن الزيات

نظـــــرة عامة
فى شؤون الصحافة(*)
لصاحب العزة أنطون الجميل بك

كل شيء كان يغريني بالإقبال على التحدث إليكم هذه الأمسية فى كثير من الارتياح ، بل من الاشتياق .

فموضوع الحديث « الصحافة » موضوع شائق طريف ، يتصل بعملى اليومى ، فلا هو غريب عنى ولا أنا غريب عنه .

والمحدَّثون صفوة من الشباب المثقف المتطلع إلى العلم والعرفان ، المتوثب إلى الخوض فى ميادين البحث والتفكير : طلبة معهد الصحافة ، وغيرهم من الذين شرفونى بالحضور من أساتذة الجامعة ورجال الأدب والسياسة والجيش ، وصاحبة الجلالة « الصحافة » حرية بمثل هذه البطانة الكريمة .

ومكان الحديث هذا ، هيكل من الهياكل المقدسة التى أقامتها الأمم الراقية للحريات : حرية التفكير ، وحرية البحث ، وحرية الرأى والقول . فى جوه تتقابل الأفكار ، وتتصادم الآراء ، فتشرق من اصطدامها أنوار الحقيقة واليقين ساطعة زاهية ، لا تحجبها سحب الشك والرياء ، ولا تشوبها شوائب المصانعة والمداراة . وما أشوق الصحفى الذى يكتب فى ظل الرقابة والأحكام العرفية إلى مثل هذا الجو النقى الطليق يتنفس فيه ملء رئتيه ! فالظروف إذن كلها مواتية للحديث : موضوعاً ، ومكاناً ، ومستمعين !

لقد وجدتَ مجالَ القول ذا سعة فإن وجدتَ لساناً قائلاً فقلِ

ومع كل ذلك ترددت فى تلبية الدعوة التى وجهها إلىَّ الزميل الصديق الأستاذ محمود عزمى لإلقاء هذه المحاضرة حتى كدت أحجم . لا لأنى لم أجد اللسان القائل أو القلم الكاتب أمام جميع هذه الظروف المواتية والمغرية ، بل لأن حصر الحديث عن الصحافة فى محاضرة هى بطبيعتها ضيقة النطاق ، محدودة المجال ، ليس من الأمور السهلة فى « معهد الصحافة » أمام طلبة يتلقون دروساً مستفيضة على أيدى أساتذة أعلام فى أصول هذه الصناعة وفروعها وتاريخها ، حتى حذقوا قواعدها وألموا بأسرارها وبكل ما يمت إليها عن قريب أو بعيد . لذلك كان اختيار موضوع هذا الحديث ، على سعة المجال ، صعباً . ولم يكن أمامى مفر من جعله يدور حول العموميات فأفرغته فى لمحة عامة ونظرة إجمالية ألقيتها إلى الصحافة وشئونها .

تاريخ الصحافة المصرية من بدء عهد الاحتلال هو تاريخ هذه البلاد فى ستين سنة . فمن حاول كتابة تاريخ هذه كتب تاريخ تلك فى هــذه الحقبة الحافلة بالحوادث التى وصلت بنا تطوراتها إلى ما وصلت إليه البلاد من رقى أدبى ومادى ، ومن مركز سياسى واجتماعى .

فما من نهضة قومية سياسية إلا وكانت الصحافة قائدها ، وما من حركة اجتماعية أو إصلاحية إلا وكانت الصحف رائدها ، عليها اعتمدَ وبها استعان رجالُ الفكر والعمل : من الشيخ محمد عبده ، إلى جمال الدين الأفغانى ، إلى قاسم أمين ، إلى مصطفى كامل ، إلى سعد زغلول ، إلى سائر زعماء السياسة والاجتماع . فكانت الصحافة فى أيدى هؤلاء القادة — وفى أيدى أنصارهم ودعاتهم — السلاحَ الماضى للذود عن آرائهم ، والبوق النافخ الذى يذيع صيحاتهم فى جميع أرجاء البلاد وفيما وراء حدودها

أى حادث وقع فى مصر ، وأى إصلاح تمَّ فى مصر ، ولم يكن الدور الأول فيه لصحف مصر ؟ وأى اعتداء وقع على الدستور أو على الحرية ولم تصب شظيته الأولى صحف مصر ؟

وإذا عاد كل منا إلى تذكر أول نبضة وطنية نبض بها قلبه ، أو أول اختلاجة قومية اختلج بها فؤاده ، أو أول ثورة فكرية تأثر بها عقله ، وجد أن مصدرها كان مقالاً فى صحيفة قرأها أو سمع والده يقرؤها

وهذا الذى نذكره عن مصر يجوز أن نذكره عن كل بلد آخر ؛ ولذلك قالوا إن صحافة كل بلاد هى مرآة صادقة لأخلاقها وميولها ومثلها العليا

وما دام هذا مقام الصحافة ، فما أكثر الصفات الواجب توافرها فى من يتجنَّدون لخدمتها ... إذا وجبت الأمانة والصدق والإخلاص فى كل عمل ، فإنها فى الصحافة أوجب منها فى غيرها ؛ لأن ضرر الرجل الذى يخون هذه الواجبات فى عمله محصور فى نطاق محدود ؛ ولكن ضرر الصحفى الذى يخونها يتعدى إلى الألوف ، بل عشرات الألوف ، بل مئات الألوف الذين يتناولون غذاءهم الأدبى والفكرى فى كل صباح وكل مساء من الصحيفة التى يقرأون ، فيكون لهم فيها الغذاء النافع أو السم الناقع

(*) ألقيت فى «معهد الصحافة» بكلية الآداب

لذلك نرى الصحافة تتدرج وتترقى من الوجهة المادية ، فتزداد صفحاتها ، وتكثر أبوابها ، وتتنوع أنباؤها ، ويُتفنَّن في بحوثها ومقالاتها

ولكنها من الوجهة الأدبية ، لا تزال شروطها وواجباتها كما كانت بالأمس وكما ستكون في الغد ، واحدة لا تتبدل ولا تتغير « صدقٌ في رواية الحوادث والأنباء ، وإخلاصٌ في بسط الأفكار والآراء ، ونقدٌ حيث ينبغي النقد ، وثناء حيث يجب الثناء . ومن وراء كل هذا ، العمل على تنوير الأذهان ، وتثقيف العقول ، وتقويم الميول ، ومقاومة الأهواء لإرشاد الرأي العام ، وتوجيهه إلى الغرض الأسمى والمثل الأعلى »

نعم ما أكثر واجبات الصحفي ! وما أتعبها وأشقها في التنفيذ ! ولكن ما أنبلها وأسعدها في النتائج !

قلتُ في محاضرة ألقيتها منذ أربع سنوات على أسلاف لكم أيها الطلبة النجباء في معرض الكلام عن واجبات الصحافة :

كم لدينا من المشاكل الاجتماعية والعمرانية والمسائل المالية والاقتصادية والشئون الاشتراعية والإدارية ، ينبغي للصحافة أن تعالجها وتقتلها بحثاً وتمحيصاً ، لتحببها نشراً وتنفيذاً

إن أمامنا أمةً أضر بها النظام الماضي ، يجب أن تعلم ، فتعرف أن لها عقلاً يجب تثقيفه ، وصحة يجب تدبيرها ، وثروة دفينة يجب استغلالها ، وأدباً عالياً يجب إحياؤه ، وتراثاً مجيداً يجب إنماؤه ، حتى تدرك الأمة في نهاية الأمر أنها هي « الأمة مصدر السلطات » حقاً . فمن لهذه الواجبات المقدسة غير الصحافة الوطنية ، وهي بعد السلطة الاشتراعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية رابعة السلطات ؟

إن لنا وطناً كان قد هِيض جناحه وشتت قواه ، واستبيحت حياضه واعتُدي على حماه ، فيجب الذود عن حقوقه ، والدفاع عن مصالحه وشئونه ، وإعلاء كلمته بين الأوطان ، ليظل زعيم جيرانه ، ويُصبح قرناً محترماً بين أقرانه . فمن لهذا الواجب غير الصحف ، والصحف كما تعرفون قلاعٌ منيعة من الورق لا تؤثر فيها قنابل المدافع ، والأقلام التي تُكتَب بها مصنوعةٌ من الفولاذ الذي تصنع منه السيوف ؟

إن لنا دستوراً ، وقد حلفنا يمين الأمانة له ، وعلى أساسه قام الحكم النيابي بيننا ، فلا بد من الدفاع عنه لتصان حرياتنا الدستورية . وكيف تصان هذه الحريات إذا فقدت صحافتنا حريتها ؟ إن كلمة «شاتوبريان» أشدّ انطباقاً على تاريخنا الدستوري منها على تاريخ سوانا . قال : « إذا فقدت البلاد دستورها فإن الصحافة كفيلة بأن تجده وترده إلى البلاد » . فلقد ضاع دستورنا أولاً وثانياً ، فكانت صحافتنا في طليعة من جدّ وراءه وردّه إلى مصر سليماً . فواجب الصحافة ألا تتخلى عن هذا الواجب

إن على رأس الأمة حكومة يجب أن تعاوَن في مشروعاتها الإصلاحية ، مادية كانت أم أدبية . أما معاونة الصحف للحكومة فتقوم على مناصرتها وتأييدها ، كما تقوم كذلك على نقدها ومؤاخذتها في مواطن النقد والمؤاخذة . فكلتا الصحافتين : المؤيدة والمعارضة تقوم بواجبها الصحفي الحق ، ما دام الإخلاص رائدها والصدق نبراسها ، فلا تميل مع الهوى ، ولا تذهب مذهب الأغراض الملتوية . ومن المسلَّم به أن لكل كاتب أسلوبه ولكل صحيفة خطتها : فهذه تأخذ باللين والهوادة ، وهذه تمعد إلى الشدة والعنف . وأمراضنا الاجتماعية كأمراضنا الجسمية: هذه محتاج إلى المكادات والمراهم ، وهذه لا بد لها من المبضع يعمل فيها عمله . والحكومة الرشيدة ترحب بالنقد العادل ترحيبها بالثناء الحق . وإذا كانت الحكومات تجزع أحياناً مما تقوله الصحف ، فإنها أحياناً قد تستهدف للتهلكة من جراء ما لا تقوله الصحف .

أعني بذلك أن حرية الكتابة يجب أن تكون مكفولة ، وذلك لمصلحة الحكومة نفسها ؛ فإن حرية القول هي الوسيلة الوحيدة لوضع حد لاستباحة التمادي في حرية الفعل . ولا أعني بذلك حرية الافتراء والتضليل ، كما لا أعني أن تنشر الصحف كل ما تعلم ، فللقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع الصواب

هذه واجبات الصحافة . وأكرر القول أنها واجبات كثيرة متشعبة وشاقة . وهيهات أن تستطيع الصحافة النهوض بها وحدها على الوجه المروم ، إذا لم تقم الحكومة والأمة بواجبهما نحو الصحف

ولقد سبق لي في موقف آخر أن أفضت في تبيان هذا الواجب ، وأكتفي اليوم بالقول إن الأمل بحصول الصحافة على ما لها من حقوق بات معلقاً على تأليف « نقابة الصحفيين » ويخجلني أن أذكر أن ليس للصحف نقابة حتى الآن ، في حين كاد يصبح عندنا لكل صناعة ولكل مهنة نقابة . وتاريخ المحاولات لتأليف نقابة الصحافة طويل مؤلم . ورد ذكرها لأول مرة منذ نصف قرن . فقد كتب منشئ «الأهرام» — طيب الله

ثراه — فصلاً في مثل هذه الأيام منذ ٥٠ سنة جاء فيه :

« لم نقصد فيما كتبناه مراراً عن الجرائد واتفاقها على « سنديك » ينظر في مصلحتها ، إلا لأننا رأينا هذه المبادئ قاعدة جرائد أوربا المتمدنة وأمريكا الحرة

« وشتان بين أهمية جرائدنا وأهمية تلك ، وبين الرأي العام هنا وهناك ، وبين حكامنا وحكامهم . فأصحاب الجرائد الأوربية أقل احتياجاً منا إلى الاتفاق تحت شروط تضمن نجاح المصلحة ، ولنا من أعمال سانيدك الجرائد في باريز ولندره وغيرهما شاهد عدل

« ومهما تتباين مبادئ جرائدنا سياسة . فهي أقل تبايناً من أخواتها في باريز ... وعند الاتفاق يمكن أن يكون لجرائدنا شأن مهم في خدمة المصلحة العامة بتهذيبها الظالم والمرتشي والمستبد ، فضلاً عن الخدمات الجليلة التي تترتب على اتفاقها من نشر المبادئ الصحيحة ، والاهتمام بالأعمال العامة ... فنرجو من زملائنا الذين يعرفون واجبات الجرائد ويعترفون معنا بفضل المشروع أن يهتموا بتحقيقه ، ويسعوا إلى الوصول إليه ، وكلما أسرعوا في الأمر حققوا للجرائد أغراضها . والله ولي التوفيق »

ومنذ ذلك العهد قام الصحفيون بمحاولات كثيرة لتأليف جمعية أو نقابة لهم ، فكانت هذه الهيئات تعمر سنة أو بعض سنة ، ثم يجرّ عليها العفاء ذيوله ، إلى أن استصدرت وزارة على ماهر باشا الأولى مرسوماً في ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٦ باعتماد « نظام جمعية للصحافة » ، ولكنه لم يوضع موضع التنفيذ . فوجهت بعد مرور سنة — ١٨ أبريل سنة ١٩٣٧ — سؤالاً برلمانياً إلى وزير الداخلية في هذا الموضوع ، فردّت الحكومة واعدة بالعمل على تأليف هذه الجمعية . ثم مرت الأيام إلى أن انتهى الأمر بتقديم مشروع بقانون إلى البرلمان بإنشاء نقابة للصحفيين

عُرض هذا المشروع على مجلس النواب فأقرّه في العام الماضي . وجاء إلى مجلس الشيوخ فعدّله وأعاده إلى النواب ، ولكن النواب لم يقروا تعديل الشيوخ . فتألفت لجنة مشتركة من بعض أعضاء المجلسين ، وانتهى بها البحث في أوائل هذا الشهر إلى صيغة ارتضتها ، وعُرضت على النواب فأقروها يوم الأربعاء الماضي (١٢ مارس) وسيؤخذ الرأي عليها مناداة بالاسم في جلسة غد . ثم ترسل إلى مجلس الشيوخ حيث شرفني زملائي بأن أكون مقرراً لهذا القانون . والأمل وطيد بأن يقره المجلس في الأسبوع القادم فيصبح قانوناً نافذاً ويضمن للصحافة شيئاً من حقوقها الأدبية والمادية لقاء ما عدّدته مما عليها من الواجبات .

وهذا القانون ينص في مادته الثانية على أغراض النقابة وهي:

١ — العمل على صيانة حقوق الصحفيين وتحديد واجباتهم

٢ — تنظيم علاقات الصحافة مع الحكومة والجمهور

٣ — سنّ القواعد المنظمة لمزاولة المهنة الصحفية وبيان العادات المرعية فيها

٤ — تسوية المنازعات ذات الصلة بالمهنة التي قد تنشأ بين أعضاء النقابة أو بينهم وبين غيرهم

٥ — العمل على تحقيق كل مشروع أو عمل من شأنه رفع مستوى الصحافة وإعلاء كرامتها . يحظر على النقابة الاشتغال بأي عمل خارج عن هذه الأغراض »

كما أن المشروع ينص في مادته الرابعة على الشروط التي يجب أن تتوافر في من يرغب في الالتحاق بهيئة الصحافة . وهذا النص ذو أهمية كبرى للعمل على رفع مستوى المهنة فلا يلتحق بها كل من هب ودب ، ولا يدعى كل من لا عمل له أنه صحفي . أما هذه الشروط المفروضة على طلب القيد في جدول الصحفيين فهي :

١ — أن يكون مصرياً

٢ — ألا يقل سنه عن ٢١ سنة

٣ — أن يكون متمتعاً بالأهلية المدنية

٤ — أن يكون حائزاً لما يؤهله للاحترام الواجب للمهنة

٥ — أن يكون حاصلاً على شهادة دراسية عالية من مصر أو من الخارج ، أو أن يكون على درجة الثقافة التي تقتضيها مهنة الصحفي

٦ — أن يكون مالكاً لصحيفة أو ممثلاً له أو مديراً لصحيفة أو لوكالة استعلامات أو رئيس تحرير صحيفة أو محرراً فيها مدة سنتين على الأقل . وفي تطبيق هذه المادة لا تشمل كلمة صحيفة الصحف ذات الموضوعات الخاصة كالجرائد المالية والرياضية والفنية وغيرها، ولا المجلات التي لا تظهر مرة واحدة في الشهر على الأقل

٧ — أن تكون الصحافة مهنته الرئيسية ، وألا يحترف التجارة فيما ليست له صلة بمهنته .

وقد فرض المشروع عقوبات على أدعياء الصحافة . فقد نصت المادة ٢٢ على ما يأتي :

« لأعضاء النقابة وحدهم الحق في حمل لقب صحفي . ويعاقب بغرامة لا تتجاوز عشرين جنيهاً مصرياً كل من وصف نفسه

علناً بهذا الوصف أو استعمله مخالفة لأحكام هذا القانون . فإن عاد تكون العقوبة الغرامة التي لا تتجاوز عشرين جنيهاً والحبس لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر أو إحدى هاتين العقوبتين »

رأيتم أن مشروع القانون الذي تلوت على حضراتكم بعض أحكامه قد عرّفنا من هو الصحفي أو الذي يجوز بعد الآن أن يحمل هذا اللقب . فقد اشترط فيما اشترط عليه أن يكون حاصلاً على شهادة عالية أو أن يكون على درجة الثقافة التي تقتضيها مهنة الصحفي

ذلك أن الصحفي مدعوٌّ بطبيعة عمله إلى الكتابة في شتى الموضوعات ، وهذا الشرط غير مقصور على الذين يدبجون المقالات ويكتبون ما يسمونه « الافتتاحية » أو (Éditorial) بل يمتد إلى الذين يكتبون الأخبار ويترجمون التلغرافات الخارجية . إذ كيف يكتب الصحفي عن الأنباء البرلمانية والوزارية ، وعن أخبار القطن والأوراق المالية ، وعن أعمال اللجان وسائر الهيئات ؟ أم كيف يترجم التلغرافات عن الحوادث المالية وتطورات السياسة الدولية ، إذا لم يكن ذلك المخبر وهذا المترجم كلاهما ملماً بنظام البلاد ودستوره ونظمه ، وبعلم الاقتصاد والقانون والجغرافيا والتاريخ العام ؟ لذلك كان البرنامج الذي يسير عليه أساتذة هذا المعهد « معهد الصحافة » حافلاً بأنواع الدراسات القانونية والاقتصادية والتاريخية والجغرافية ليخرجوا لنا صحفيين مثقفين يشرفون لقب « الصحفي » عند ما يلقبون به ويتشرفون هم بالخدمة في بلاط صاحبة الجلالة

ولعل أحوج ما يحتاج إليه الصحفي إلى جانب ثقافته العامة شيئان : قوة الملاحظة ، فترى عينه في مشاهداته ما لا تراه عيون الآخرين ، ويلمح خاطره في الحوادث والأنباء ما لا تلمحه خواطر الناس . فإذا قرأوا ما دوّنه من ملاحظات قالوا : « حقاً ... إن الأمر لكذلك »

ويحتاج بعد هذا إلى قلم رشيق يترجم عن آرائه وأفكاره ، ويدون الملاحظات والمشاهدات في أسلوب لبق بعيد عن الركاكة بُعْدَهُ عن التقعر ، وأنتم تقرأون كل يوم الخبر الواحد مصوغاً في أساليب مختلفة : هذا يروقكم ويستوقفكم ، وهذا لا تأبهون له فتمرون به مرّ الكرام . والصحفي أكثر من كل كاتب مفروض عليه الإسراع في الكتابة ، فليس أمامه من الوقت ما أمام الباحث والأديب والمحاضر ليبحث وينقّب ويراجع ، بل هو مضطر إلى تدوين الأنباء تدويناً خاطفاً ، أو إلى التعليق على الحوادث تعليقاً يكون ابن ساعته . فسرُّ الصحافة الحديثة السرعة : السرعة في تلقي الأخبار ، والسرعة في إيصالها إلى القراء . وقد جاء انتشار التليفون والتلغراف السلكي واللاسلكي خير معوان لخدمة الصحافة من هذا القبيل ؛ وإذا كان « الراديو » قد نهض ينافس الصحافة في سرعة نشر الأخبار ، فإن منافسته ستظل محصورة ، لأن العبارة المكتوبة لا تزال أحب إلى العقل من العبارة المقولة

وما دمنا في معرض الكلام عن الأساليب الصحفية وتنوعها فلا بد من القول أن صحافتنا في مجموعها قد أصبحت شاملة لكل هذه الأنواع فتوافق جميع الأذواق . فصحافتنا منوعة في مواعيدها : فمنها الصباحية والمسائية ، ومنها الأسبوعية والشهرية . منوعة في موضوعاتها : فمنها السياسية الأخبارية ، ومنها الأدبية العلمية ، ومنها المصورة الفكاهية

منوعة في أسلوبها : فمنها الرزينة المعتدلة ، ومنها المتحمسة المندفعة ، ومنها المنتقدة اللاذعة

ولا سبيل إلى المفاضلة بين هذه الأساليب ، فالأمر راجع إلى ذوق الكاتب ومزاج القارئ . والمهم ، أيا كان الأسلوب ، أن يكون قائماً على الصدق والإخلاص كما ذكرنا

هذه صفات عامة تتناول جميع كتاب الصحف . وهناك صفات خاصة تتناول كل طائفة من كتاب الصحيفة الواحدة : فللكتاب والمحررين صفات ، وللمخبرين والمندوبين صفات ، وللمكاتبين والمصححين صفات ، وللمترجمين صفات ، وللموضبين والذين يتولون عمل « تواليت » الصحيفة صفات ، يطول بنا المقام لو شرحناها وفصلنا كل واحدة منها . ولا يقلُّ عمل طائفة من هذه الطوائف التي تحضر الجريدة أهمية عن عمل الأخرى ، وإن كان الغرباء عن الصحافة يتصورون خطأ أن الذي يكتب مقالة هو كل شيء في الجريدة

وقبل أن نختم هذا الحديث ، فلنفتح صحيفة من صحفنا اليومية لنرى تطبيق ما قدمت . ما ذا نجد فيها عادة ؟

نجد المقالة أو التعليق على أهم حوادث اليوم

ونجد الأخبار والأنباء التي تتصل بحياة البلد

ونجد الأنباء التلغرافية ، وقد طغت في هذه الأيام على سائر

أبواب الجرائد نظراً إلى خطورة حوادث الحرب واشتباك جميع المصالح بها

ونجد أيضاً الإعلانات ، وقد أصبح الإعلان فناً قائماً بنفسه من حيث الشكل والأسلوب ، وهو ركن أساسي في إيراد الجريدة لا غنى لها عنه لتكفل حياتها ، أو على الأقل لتكفل استقلالها

قال لي مدير إحدى كبريات الصحف الأمريكية : « كل مشترك جديد في جريدتنا يخسرنا سبعة دولارات ، ولكننا نرحّب به ، لأن « تعريفة » الإعلانات عندنا ترتفع بنسبة زيادة عدد النسخ المطبوعه فتعوّض أجرة الإعلانات هذه الخسارة وتعود علينا بربح »

ولا أريد أن أطوي حديثي معكم على هذه البيانات المادية ، بل أستميحكم بضع دقائق أخيرة نتحدّث فيها عن أسلافنا البعيدين ، وهم الصحفيون عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام وقد عنيت بهم « الشعراء » فإنهم كانوا يدونون حوادث القبيلة أو الربع في قصائدهم ، فيتناقلها الرواة . وكم من قصيدة سجّلت حوادث القوم ووقائعهم الحربية أوفى تسجيل ، حتى لكأنها الصحيفة المصرية تسرد الأنباء والأخبار سرداً ... ودواوين الشعراء زاخرة بهذا النوع من الشعر الإخباري ، فنجد فيها الشيء الكثير منه

اسمعوا على سبيل المثال هذين البيتين لبشار بن برد ، وقد تكلم في البيت الأول عن الحرب الخاطفة (La guerre - éclair) وضمّن البيت الثاني وصفاً لواقعة حربية جاء أشبه شيء ببلاغ من البلاغات الحربية التي نقرأها كل يوم ، قال :

بعثنا لهم موت الفجاءة ، إننا
بنو الموت خفاق علينا سبائبه(1)
فراحوا : فريق في الإسار ، ومثله
قتيل ، ومثل لاذ بالبحر هاربه

وهكذا كان الشعراء يدوّنون الحوادث في أشعارهم كما يفعل الصحفيون اليوم في جرائدهم . وكانوا كذلك يقومون بمهمة الإعلان ، ولا نعرف « التعريفة » التي كانوا يتقاضونها عن الإعلان في شعرهم

وأما ألطف إعلان بالشعر ما ذكره كتاب الأغاني ، وخلاصته : أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخُمُر — والخمار ما تغطّى به المرأة رأسها ، وقد عادت (موضة) الآن — فباعها كلها ، وبقيت السود منها فلم تنفق ، وكان صديقاً للدارمي فشكا ذلك إليه . وكان الدارمي قد نسك وترك الغناء وقول الشعر ؛ فقال له : « لا تهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع » ، ثم وضع شعراً للغناء :

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا صنعت براهب متعبّد
قد كان شمّر للصلاة ثيابه
حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع غناؤه في الناس ، ولم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود ، حتى نفد ما كان مع العراقي منها

أقف عند هذا الحد ، معتذراً عن تقصيري ، بأني ما ادّعيت قط حصر جميع شئون الصحافة في محاضرة ، بل هي نظرة إجمالية تناولت بعض شئون الصحافة ، ولكم أيها الإخوان ، في محاضرات أساتذتكم في هذا المعهد ما يسد الفراغ ويكمل النقص

ولم يبق لي إلا أن أعني لكم التوفيق في الصناعة التي اخترتموها لأنفسكم ، وهي صناعة شريفة إذا عرفنا أن نحتفظ لها بمكانتها . وكل ما أرجو ألا تخرجوا إلى ميدان العمل إلا وتكون جميع القيود التي قضت الأحوال الحاضرة بفرضها على الصحافة قد سقطت : القيود المادية التي تحدد عدد الصفحات ، والقيود الأدبية التي تقيد جولات الأقلام ، فتجدوا المجال أمامكم حرّاً واسعاً ، فالصحافة لا تزدهر إلا في جو الحرية والاستقلال

أنطون الجميل

(1) جمع سبيبة وهي الراية

الأدب العربي الحديث
في العــراق
للدكتور زكي مبارك

تمهيد — الصلات الأدبية بين مصر والعراق — كيف صارت العروبة في ديار الرافدين بعد سقوط بغداد ؟ — الجدال بين السنة والشيعة هو الذي حفظ اللغة العربية في عهود الاحتلال الفارسي والاحتلال التركي — بواكير النهضة الأدبية في العراق — إحياء الأمجاد العربية — الأدب المجهول — روافد الأدب العراقي — لمحات من الفروق بين الاتجاهات الأدبية في مصر والعراق .

تمهيد :

صار من المقرر في وزارة المعارف المصرية أن تكون الترقية من التعليم الابتدائي إلى التعليم الثانوي مقصورة على من يفوزون في امتحان المسابقة لذلك الترفيع[1] ، وهذا نظام يسوق المدرسين سوقاً إلى تزويد عقولهم بما يجدّ في ميادين الدراسات العلمية والأدبية والاجتماعية

وفي هذا العام يجب على المتسابقين في اللغة العربية أن يؤدوا امتحاناً في الأدب الحديث بمصر وسائر البلاد العربية ، وهي مفاجأة لم يستعدّ لها مدرسو اللغة العربية ، لأن الأدب الحديث في غير مصر ، لا يعرفه من بين المصريين إلا أفراد سمحت لهم الظروف بأن يتنقلوا في بعض أقطار الشرق من أمثال : المازني والزيات وعزام . فكيف السبيل إلى تعرّف اتجاهات الأدب الحديث في بلاد مثل : المغرب واليمن والحجاز وفلسطين وسورية ولبنان والعراق ؟

وقد دعاني جماعة من المدرسين إلى إنشاء طائفة من البحوث في التعريف بالأدب الحديث في غير مصر من البلاد العربية ، فأجبت بعد تردد ، لأني أعرف أن ذلك عبء لا ينهض به رجل واحد ، فقد تعددت المذاهب الأدبية في تلك البلاد ، وصار من الواجب أن يلتفت إليها عدد كبير من الباحثين ليسجلوا ما فيها من خصائص ذوقية وأدبية واجتماعية

ولو لم تفاجأ « الرسالة » بغلاء الورق ، لكان في تنفيذ الاقتراح الذي قدمتُه إليها في صيف سنة ١٩٣٩ ما يغني المدرسين المصريين من التعب في تعرّف الاتجاهات الأدبية بالأقطار العربية ؛ فقد كنت اقترحت أن تصدر « الرسالة » أعداداً خاصة تصوّر ما بتلك الأقطار من المذاهب الفكرية والأدبية ، وتعرّف المصريين بأحوال إخوانهم في بلاد لا يعرفون من أخبارها العقلية غير بوارق تنقلها الجرائد والمجلات من حين إلى حين بأسلوب قد يصل في الإيجاز إلى الإخلال

وأنا لم أبتكر الاقتراح الذي قدمته إلى « الرسالة » في صيف سنة ١٩٣٩ ، فقد استوحيته من العدد الممتاز الذي أصدرته مجلة « العرفان » عن مصر ، والعدد الممتاز الذي أصدرته مجلة « المكشوف » ؛ وهما عددان يفصّلان الأحوال الأدبية والاجتماعية في مصر أجمل تفصيل ، فإلى هاتين المجلتين أقدّم أطيب الشكر وأصدق الثناء

ثم رأيت أن أبدأ بالكلام عن الأدب الحديث في العراق ، إلى أن أستعدّ للكلام عن الأدب الحديث في سائر البلاد العربية ، فماذا وجدت ؟ وجدت المهمة أصعب مما تصورتُ ، لأن العراق الذي عشت فيه وتعرّفت إلى ما عند أهله من آراء وأهواء ونوازع وميول ، يحتاج إلى دراسة دقيقة تستنفد أوقاتاً لا أملك منها غير صوبيات قصار أسترقها استراقاً من العمر الموزّع بين أعباء ثقال أخفّها الجهدُ الذي أواجه به قرائي من يوم إلى يوم أو من أسبوع إلى أسبوع

فهل أحجِم عن مواجهة هذا الموضوع الجليل إلى أن أجد الوقت المنشود ؟

سأتوكل على الله وأتحدث عن الأدب العراقي في الحدود التي يسمح بها جهد المُقِلّ ، وجهد المقلّ غير قليل . وسيكون الغرض تصوير أدب العراق في أشخاص شعرائه وكتّابه بأسلوب يجمع ما تفرّق من مذاهب الأدباء بتلك البلاد ، إلى أن تسمح الظروف بإعداد كتاب شامل عن العقلية العراقية في العصر الحديث ، والله سبحانه هو الموفق

الأدب العراقي :

بسم الله الرحمن الرحيم

وبالبسملة أبتدئُ حين أقدِم على موضوع تعترضه عِقاب وصعاب

وموضوع اليوم هو تحديد المرحلة التي يبتدئُ بها الأدب الحديث في العراق ، فما هي بداية النهضة الأدبية الحديثة في تلك البلاد ؟

(١) الترفيع هو الترقية ، في تعبير أهل العراق

كان العراق يحمل مشاعل الثقافة العربية إلى أن اجتاحه المُغول فى منتصف القرن السابع ، فبعدئذ نهضت مصر بما كان ينهض به العراق ، وقامت القاهرة بما كانت تقوم به بغداد ، ورحّبت المدائن المصرية بعثات من العائلات العراقية ، ولعل هذا هو السرّ فى التشابه الشديد بين المصريين والعراقيين فى النطق ومخارج الحروف ، وفى كثير من العادات والتقاليد ، بحيث يمكن الحكم بأن المصريين والعراقيين لم يكونوا على بُعد الدار إلا إخوة أشقاء نقلتهم الحوادث من بلد إلى بلاد

فكيف صارت العروبة فى العراق بعد سقوط بغداد وبعد انتهاء ما تلا عهد المغول من خطوب ؟

ظلّ العراق العربى محتلاً بالقوى الفارسية نحو ثلاثة قرون ، وهو أمدٌ يقدَّر بثلاثة أرقام ، ولكنه أمدٌ طويل جداً ، وكان يكفى لمحو اللغة العربية لو صادف أمةً لا تمتّ إلى العروبة بعرق أصيل . ثم جاء عهد الترك فأيد عهد الفُرس من حيث الاستهانة بمقام اللغة العربية ، فماذا صنعتْ تلك اللغة لتحفظ حيويتها إلى أن يجيء يوم البعث ، وهو يوم استقلال العراق ؟

ظفرت اللغة العربيـة فى العراق بأسلحة تضر من جانب وتنفع من جوانب ، وتلك الأسلحة هى مصادر النزاع والشقاق بين المذاهب السُّنية والمذاهب الشيعيّة . فقد تناسى العراقيون بلواهم بالاحتلال الفارسى والاحتلال التركى ، وظلوا يتجادلون ويتناقشون بلغة القرآن ، وهى اللغة التى حملت إليهم بذور ذلك الخلاف « السعيد »

ومن المؤكد أن المناقشات بين السنة والشيعة فتقت الأذهان وألانت الألسنة فى العراق . ومن المؤكد أيضاً أن المساجد هى صاحبة الفضل الأول فى تأريث الخصومات العقلية ، وهى خصومات عادت بالنفع الجزيل على الأدب والبيان ، فمن كان يهمّه أن يعرف كيف عاشت اللغة العربية فى العراق برغم الاحتلال الفارسى والاحتلال التركى فليسأل أساطين المساجد فى البصرة والحلة والموصل وبغداد والنجف وكربلاء

تناسى العراقيون بلواهم بالاحتلال الفارسى والاحتلال التركى وأقبلوا على الجدال فى المفاضلة بين الأمويين والهاشميين ، فعاشوا فى دنيا من الفكر والعقل والوجدان كانت أجدى عليهم من دنيا السيطرة المالية والسياسية ، وبذلك حفظوا لغتهم من التضعضع والفناء . ولله حكمة عالية فى خلق أسباب الشقاق بين الرجال .

اللغة العربية فى العراق مدينة أثقل الدين للخلافات المذهبية ، فتلك الخلافات هى التى أوجبت أن يحرص أقوام على رواية أخبار بنى أمية وبنى العباس ، وأن يحرص قومٌ على رواية أخبار الحَسَن والحسين ، وكانت جميع تلك الأخبار مصبوبة فى قوالب هى الغاية فى الفصاحة والبلاغة والبيان

ولو جاز لى أن أستعين هـذا الأسلوب من المنطق لقلت إن اللغة العربية لم تنهزم فى البلاد الفارسية والتركية إلا بسبب انعدام الخلافات المذهبية فى تلك البلاد ، فالفُرس انحازوا إلى جانب ، والترك انحازوا إلى جانب ، وبهذا السلام خَلَوْا إلى أنفسهم هنـا وهناك فحلّت النزاعات القومية محل النزاعات المذهبية ، واستغنى أولئك وهؤلاء عن الاستنصار بلغة القرآن

فمن كان غاب عنه أن الخلاف نعمة من نعم الله فليذكر هذه الحقيقة ليعرف أن الله قد يَبتلى بالخلاف عباده الأصفياء

عاشت لغة العرب فى العراق أجيالاً طوالاً بأسناد مذهبية ، فمتى فكّر العراق فى أن يجعل لغة العرب لغة رسمية بعد انقضاء عهود الخلفاء ؟

العراق الحديث

هنا يتسع المجال لبيان الأسباب التى أنهضت العراق العربى فى عهده الحديث ، فمتى انبعثت شرارة العروبة فى العراق ؟

ثبتَ عندى بعد مطالعات كثيرة أن الأدب العراقى كان انطوى على نفسه فى عهود الظالمات فلم يكن إلا مطارحات شعرية أو مراسلات نثرية لا تصوِّر صراع العواطف ولا صيال العقول ، بغض النظر عن الشجار الذى لم ينقطع بين المذاهب والآراء

فمتى خرج الأدباء العراقيون من صوامعهم ليحدثوا الجمهور عن المطامح السياسية والقومية ؟

كان ذلك يوم صار للعراق مبعوثون فى استنبول ، فهنالك وجدوا إخواناً ثائرين على « الدولة العلية » من رجال مصر واليمن والحجاز والشام ولبنان ، ومن أولئك وهؤلاء تكونت جماعات أدبية وسياسية تنتصف للعرب من الأتراك ، وتطالب بأن يكون للعرب وجود أدبى وسياسى يستردّ الحقوق التى أضاعها الزمان

ولهذه النزعة جذور دخيلة سجلتها بصراحة فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » ونشرتُ من أخبارها أشياء فيما تحدثت به إلى قرائى فى مجلة الرسالة ، ولكن المصير واحد وإن اختلفت الأسـباب ، وذلك المصير هو الإيمان الراسخ

بأن العروبة فكرة سليمة قد تؤتى أطيب الثمرات إذا تعهدها الوطنيون المخلصون بالرعاية والتشجيع

إذا عرفنا هذا صح لنا القول بأن النهضة الأدبية الحديثة في العراق نشأت مع ثورة الأمم العربية على الدولة التركية ، وهى ثورة كانت لها بواعث كثيرة أهمها تطلع تلك الأمم إلى التمتع بنعمة الاستقلال

ومن الواضح أن اللغة العربية كانت أداة التعبير عن تلك الثورة بالتصريح أو التلميح فظهرت مقالات وقصائد ومطبوعات أثارت ما أثارت من نوازع الحمية العربية ، وأنطقت الألسنة والأقلام بأدب جديد هو الأدب السياسي ، وأريد به الأدب الذى لا يقف عند شرح العواطف الذاتية ، وإنما يتسامى إلى شرح ما يعانى المجتمع من أزمات قومية كما يصنع الأدب الاجتماعى

تلك الفترة من حياة العراق الثائر على حكم الأتراك هى التى نقلت الأدب العراقى من حال إلى أحوال ، وهى التى فتحت عيون أدبائه على فنون الأدب الحديث فى الديار المصرية والسورية ، وهى التى أوحت إليه أن يجعل العروبة عماد سياسته القومية فى أكثر الشئون .

ثم ماذا ؟ ثم نجا العراق من الاحتلال التركى ليواجه مصاعب خلقها مصاعب الاحتلال الانجليزى ، فماذا صنع وقد استبدل احتلالاً باحتلال ؟

كانت شخصيته قد استحصدت وقويت ، وما زالت تستحصد وتقوى حتى صارت أعز من أن يطمع فيها طامع يعتمد على القوة أو يتوسل باللين ، وما هى إلا أعوام قصار حتى شرع العراق ينشر العلوم والمعارف باللغة العربية بعد أن ظلت الفارسية ثم التركية لغة التعليم بتلك البلاد فى آماد لا تعد بالأعوام وإنما تعد بالقرون ، وبفضل هذه الفتوة رجعت السيادة للغة العرب فى بلاد كان لها فى خدمة هذه اللغة تاريخ مجيد

وبجانب هذا الفضل فى جعل اللغة العربية لغة التدريس فى جميع العلوم كان فضل آخر هو الحرص على إحياء الأمجاد العربية والإسلامية ، فأكثر الشوارع وأكثر المنشآت لها أسماء عربية وإسلامية ، وأغرم الناس هنالك بمقاومة الألفاظ الأجنبية ، لتصبح لغتهم جديرة بالمطامح التى يتسامون إليه وهو إحياء عهد الرشيد

يضاف إلى هذا وذاك حرص العراق على الاتصال بجميع الأمم العربية ، أو الأمة العربية - كما يعبر الأستاذ أبو خلدون - ولذلك الاتصال ألوان مختلفات ، فهو يتابع جميع الحركات السياسية فى البلاد العربية ، ويتابع ما يجد فيها من تطور الآداب والفنون ، ويسره أن يقال إن له فاعلية فى إحياء التمدن العربى الحديث

وخلاصة القول أن بداية النهضة الأدبية فى العراق تؤرخ بثورة العراقيين على الحكم التركى ، ثم تؤرخ بجعل اللغة العربية لغة التدريس فى عهد الاستقلال

الأدب المجهول

وهنا نقف وقفة قصيرة نشير بها إلى لون من الأدب العراقى تصح تسميته بالأدب المجهول ، وهو الأدب الشعبى ، الأدب الذى لم يدوّن ، ولن يدوّن بعد أن صارت اللغة الفصيحة هى الغاية التى يسعى لتأييدها جميع أدباء العراق

فذلك الأدب الذى يتناقله الناس هناك من بلد إلى بلد قد صور طوائف كثيرة من أحلام القلوب ، وأوهام العقول ، وهو الشاهد على أن العقل العراقى لم يذق طعم الغفوة برغم ماضٍ بالعراق من أحداث وخطوب تعصف بعتابت الأهواء والآراء[٢]

روافد الأدب العراقى

يقال إن الأدب المصرى الحديث قد انتفع من اتصال أدباء مصر بالآداب الأوربية ، وهو قول حق ، فمصر قد نقلت عن أوربا أكثر ما صدر عن أدبائها ومفكريها من المذاهب العقلية والاجتماعية ، وقد تكون مصر أول أمة عربية عنيت عناية جدية بنقل آراء أهل الغرب إلى أهل الشرق ، ولعلها أول أمة زودت الغرب بعلوم الشرق فى أزمان الحروب الصليبية

فما هى الروافد التى أمدت الأدب العراقى الحديث ؟

أنا أرجح أن الأدب الحديث فى العراق قد انتفع بثلاثة ينابيع : أولها الأدب الفارسى وثانيها الأدب التركى وثالثها الأدب المصرى « مع الاحتفاظ بفضل الأدب العربى القديم »

ولكن كيف وصلت إليه تلك الينابيع ؟

الجواب حاضر ، فاتصال العراقيين بالأدب الفارسى معروف ، ولا يزال بين أدبائهم رجال يسايرون الآداب الفارسية ويتأثرون

(٢) فى العراق أشعار شعبية تحيا على ألسنة الناس منذ قرون بدون تدوين ، ولو كان الدكتور طه حسين اطلع على تلك الأشعار لعدل رأيه فى رواية الشعر الجاهلى بعض التعديل

ما بها من أخيلة وتعابير ، وقد يكون فيهم من ينظم الشعر باللغة الفارسية كما صنع الزهاوي يوم ذهب إلى إيران للاشتراك في إحياء ذكرى الفردوسي ، وقد يكون فيهم من يؤلف بالفارسية كما يصنع السيد هبة الدين الشهرستاني

واتصال العراقيين بالأدب التركي لا يحتاج إلى بيان ، فقد كان جمهور أدبائهم على صلة وثيقة بالتيارات الأدبية في البلاد التركية، وأكثر رجالهم الكبار تلقوا دروسهم العالية في أستامبول

أما اتصال العراقيين بالأدب المصري فهو أقوى من اتصال المصريين بالأدب المصري ، وهذا كلام يستغربه من تغيب عنه الموازنة بين القراء في مصر والقراء في العراق ، فالقراء في مصر لا يُعنَون بالصحافة الأدبية كما يُعنَون بالصحافة السياسية ، ومن أجل ذلك تفوتهم أشياء وأشياء من النتاج الأدبي . ولا كذلك القراء في العراق فهم يسايرون الصحافة الأدبية في مصر مسايرة جدية ، ويعرفون من أخبار الأدب في مصر أضعاف ما يعرف القراء المصريون

فما السبب ؟ أيكون شبان مصر أقل ذكاء من شبان العراق ؟

لا ، وإنما يرجع السبب إلى قوة الصحافة السياسية في بلادنا وضعف الصحافة السياسية في بلادهم ، فشباننا يجدون من أخبار السياسة ما يلهيهم عن الأدب الصرف ويحولهم إلى جنود سياسيين، وشبان العراق لا يجدون من أخبار السياسة ما يلهيهم عن الأدب الصرف ، ولهذا يقبلون على الصحافة الأدبية إقبالا يستوجب الثناء

ونصل بهذه المحاولة إلى النص على أن أدباء العراق لهذا العهد ينقسمون إلى جيلين مختلفين بعض الاختلاف : الجيل الوثيق الاتصال بالآداب الفارسية والتركية ، والجيل الذي يأخذ أكبر مادة لغذائه العقلي والروحي من الآداب العربية المصرية ، والتفريق أو التمييز بين آثار هذين الجيلين لا يحوج الباحث إلى عناء

ولن يمضي زمن قليل حتى يكون من الصعب أن نجد اختلافاً جوهرياً بين أساليب الكتاب والشعراء في مصر والعراق ، ويومئذ نضمن اتحاد المشاعر والعواطف والقلوب بصورة لا يبقى معها مجال لدسائس الطامعين في تمزيق الوحدة العربية ، وهم أقوام يدخلون من أبواب لا تهتدي إليها الشياطين !

خصائص الأدب العراقي

لكل بلد خصائص ذاتية ترجع إلى طبائع الحياة المحلية . واختلاف الخصائص هو المميز الأعظم لثروة الأدب العربي ، وقد تختلف الخصائص في القطر الواحد ، كالذي نجد من الفرق بين اتجاهات الأدباء في القاهرة والإسكندرية ، أو الفرق بين اتجاهات الأدباء في دمشق وبيروت ، أو الفرق بين اتجاهات الأدباء في النجف وبغداد ، فمن السهل إذاً أن نعرف أن للأدب العراقي خصائص لا توجد في الأدب المصري ، أو توجد فيهما ولكن لا على السواء ، وهل اتفق الجوهر الذوقي في الرائيات الثلاث : رائية أبي نواس ورائية ابن درّاج ورائية البارودي ؟ وهي قصائد موزعة الذوق الفني بين مصر والأندلس والعراق ؟

لا جدال في أن لكل بلد خصائص ، فما خصائص الأدب العراقي؟

نقيد (أولاً) أن العراق يميل إلى التحرر من التزام القافية والتزام الوزن في القصيد الواحد ، وتلك رجعة إلى نظام الموشحات ، ولكنها من حيث الصورة تخالف نظام الموشحات ، وأشهر شعراء العراق في الميل إلى هذا التحرر هو الزهاوي . وقد يكون فيهم من اتساق مع تيار الموشحات في أغلب ما نظم من القصائد ، وأشهر هؤلاء هو الحبّوبي

وهذه النزعة وُجدت في مصر ، ولكن بأخف مما وجدت في العراق ، وقد ظهرت ظهوراً قوياً بين الشعراء السوريين واللبنانيين الذين أقاموا دولة للأدب العربي في أمريكا الجنوبية

ونقيد (ثانياً) أن الأدب العراقي يمتاز بالإكثار من الحديث عن الأمم العربية ، فلمصر وفلسطين والشام ولبنان صور كثيرة جداً في أشعار العراقيين ، ويرجع ذلك إلى هيامهم بزيارة البلاد العربية وإلى تعرّف أكثرهم بمصر عن طريق القراءة أو طريق الدرس ، فكثير من أدباء العراق عاشوا في مصر وتزودوا من معاهدها العلمية . وكثير منهم زاروا مصر وعرفوا من أخبارها الصحيحة ما زادهم بها فتوناً إلى فتون ، وقد يصفها أحدهم من قبل أن يراها كما صنع الأستاذ شاكر الجودي

وقد اهتم الأدب المصري بوصف البلاد العربية ولكن بأقل مما اهتم الأدب العراقي ، وإن كانت قصائد شوقي في وصف مرابع سورية ولبنان سارت مسير الأمثال

ونقيد (ثالثاً) أن الإخوانيات لا تزال مرموقة المكان عند أدباء العراق ؛ فهم يتراسلون بالرسائل والقصائد على نحو ما كان يتراسل أسلافهم القدماء

وقد انقرض هذا النوع من الأدب المصري أو كاد ، فما عدنا نسمع برسالة كرسالة حفني ناصف إلى توفيق البكري ،

٥ - فى العقد

لأستاذ جليل

٣٥ — (ص ٢٢١) ... وأنا أنظر متى يرميني بسهم يَقصِد به قلبي ...

قلت: ضبطت يقصد بفتح الياء وكسر الصاد وإنما هي يُقصد في الأساس: رماه فأقصده وتقصده: قتله مكانه. قال أبو حية النميري:

رمين فأقصدن القلوب ولم تجد دماً مائراً إلا جوى فى الحيازم!

وروت النهاية لحميد بن ثور:

أصبح قلبي من سليمى مُقصدا إن خطأ منها وإن تعمُّدا!

٣٦ — (ص ٣٠٩) إبرهيم بن المهدى قال: قال لى جعفر ابن يحيى يوماً إنى استأذنت أمير المؤمنين فى الحجامة وأردت أن أخلو وأفر من أشغال الناس وأَرَوِّح، فهل أنت مساعدى؟ قلت: جعلنى الله فداك، أنا أسعد الناس بمساعدتك، وآنس بمخالاتك...

قلت: إن قصد بـ(أروّح) التروح بنفسه بالمروحة[1] - وما أظن ذلك - فاللفظة فى مكانها وإلا فهى (أتوحد[2]) كما جاء فى الشرح فى (العقد) أو أستوحد[3]، أى أنفرد، أو أستريح

وقوله (بمخالاتك) فيه تحريف، قد يكون أصله بمخالتك أو بمخادنتك (أى صحبتك) أو خلوتك أو إخلائك، يعنى خلوته وإخلاءه به أو إليه أو معه. و(آنس) هى آنسهم

ومن معانى (المخالاة) فى اللغة: الترك. المتاركة. المخالفة. المبارزة. المصارعة. قال: (ولا يدرى الشقى بمن يخالى). قال الأزهرى: كأنه إذا صارعه خلا به فلم يستمن واحد منهما بأحد. وكل منهما يخلو بصاحبه[4]. وهذا التفسير المتوهم لا ينعش اللفظة المحرفة

٣٧ — (ص ١٢٣) ونظير هذا قول قطرى بن الفجاءة:

(١) فى الأساس: روح عليه بالمروحة، وتروح بنفسه

(٢) وحد وتوحد بقى مفرداً (التاج)

(٣) استوحد: انفرد (الأساس)

(٤) اللسان. وفى الأساس: خاليته مخالاة: وادعته. وتخلى من الدنيا وخالاها مخالاة، وما أحسن مخالاتك الدنيا!

أو قصيدة كقصيدة المازنى فى مداعبة العقاد[3]

ونقيد (رابعاً) أن الهجاء لا يزال من الفنون الأدبية فى العراق، وإن كان لا يُنشر فى الجرائد ولا يسجل فى المطبوعات؛ وهذا الفن لم يبق له فى مصر مجال، وإن كان تهاجى الصحف الحزبية فى مصر قد وصل إلى أبعد الآفاق فى التمز والتجريح!

ونقيد (خامساً) أن أشعار المجون لها بقايا فى العراق، وهى أشعار تغلب عليها لطافة الدعابة وخفة الروح، وهذا الفن قد انعدم فى مصر بموت «الحاج» محمد المراوى، وإنما قلت «الحاج» لأمطر قبره بفكاهة ينتعش بها ثراه، فقد نظم المراوى قصائد مجونية تفوق مجونيات أبى نواس، إن جاز القول بأن الدنيا عرفت ماجناً يفوق أبا نواس، إلا أن يكون الماجن هو المراوى، وكان رحمه الله غاية فى التقى والعفاف، ولم ينظم أشعار المجون إلا حباً فى تزويد الأدب بمختلف الألوان

ثم نقيد أن للأدب العراق خصيصة تفوق تلك الخصائص وهى إمعانه فى الصدق، فهو صورة لما يعانى العراق من خطوب وما يطمح إليه من آمال، ولو عُصِر الروح العراق كما يُعصَر

(٣) السبب فى انعدام هذا الفن بمصر هو إقبال الأدباء المصريين على درس المذاهب السياسية والاجتماعية

الورد لكان عصيره دموعاً تشتهيها الحمامة الموصلية يوم فراق الأليف

أما بعد، فهذا تمهيد للكلام عن الأدب العراق، وهو تمهيد أردنا به تحديد المرحلة التى قطعها العراق ليصل إلى ما وصل إليه من إعزاز اللغة العربية، وأردنا به النص على روافد الأدب وخصائص الأدب فى ذلك القطر الشقيق

ومن المحتمل أن يكون فى الأحكام التى سقناها فى هذا التمهيد ظلٌّ من الخطأ الطفيف، ولكنها فى الجملة تستند إلى قواعد سليمة من آفات الميل والانحراف. فما الذى سنصنع بعد هذا التمهيد؟

سنتحدث عن الأدب الحديث فى العراق بالتفصيل، وبأسلوب يقرّبه إلى أذهان القراء كل التقريب، وسنرى ويرى معنا قراء الرسالة فى مختلف البلاد العربية أن البلاد التى أنجبت المتنبى والرضىّ خليقة بأن تؤيد ماضيها الجليل بحاضر جميل

وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلتُ، وإليه أُنيب زكى مبارك

(حاشية): ستقع فى الأبحاث الآتية أحكام لا يرضى عنها جميع الأدباء فى العراق، فليعرفوا سلفاً أن الغرض من هذه الأبحاث هو التعريف بالأدب العراق على حقيقته بلا تزيين ولا تهويل، ليكون العراقيون على بينة من صورهم الصحيحة فى أذهان من يحبوهم حيناً من الزمان. والقسوة الحق لا تعاب، وإنما يعاب الرفق المصنوع. وإيمانى بأن أدباء العراق لا تؤذيهم كلمة الحق هو الذى يشجعنى على المضى فى هذا الدرس الصريح. (ز. م)

وقولى كلما جشأت لنفسى ... من الأبطال ويحك لا تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لم تطاعى

قلت : رواية البيت الأول هى هذه :

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحك لن تراعى

وهو مطلع مقطوعة رواها أبو تمام فى حماسته وابن خلكان فى الوفيات . وجاء فيهما بعد ذينك البيتين :

فصبرا فى مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز ... فيطوى عن أخى الخنع اليراع (٥)
سبيل الموت غاية كل حى ... فداعيه لأهل الأرض داعى
ومن لا يُعتبط يسأم ويهرم ... وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير فى حياة ... إذا ما عُد من سقط المتاع

قال ابن خلكان : هذه الأبيات تشجع أجبن خلق الله ، وما أعرف فى هذا الباب مثلها ، وما صدرت إلا عن نفس أبية ، وشهامة عربية !

ومن قول قطرى (٦) :

ألا أيها الباغى البراز تقربن
أساقك بالموت الذعاف المقشبا (٧)
فما فى تساقى الموت فى الحرب سبة
على شاربيه فاسقنى منه واشربا

٣٨ — (ص ١٩٠)

أو أبلق ملأ العيون إذا بدا
من كل لون معجب — بنموذج (٨)

قلت : البيت للبحترى فى قصيدة فى الخيل : والرواية فى الديوان وشفاء الغليل والتاج هى : أو أبلق (يلق) العيون ... ويلق فى هذا المقام أدق من (ملأ) وأكثر بحترية ...

(٥) أخو الخنع الذليل ، والخنوع الذلة (اليراع) القصبة التى لا جوف لها . والرجل الذى لاقلب له جبان كأنه لا جوف له . فوضع اليراع مكان الجبان لأنه بمعناه (التبريزى)

(٦) كان طامة كبرى وصاعقة من صواعق الدنيا فى الشجاعة والقوة وله مع المهالبة وقائع مدهشة ، وكان عربياً فصيحاً مفوهاً وسيداً عزيزاً وشعره فى الحماسة كثير (أعلام الزركلى عن سنا المهتدى المخطوط)

(٧) الذعاف سم ساعة ، القشب : الذى قد خلط به أدوية تقويه (التبريزى)

(٨) النموذج : مثال الشىء أى صورة تتخذ على مثال صورة الشىء ليعرف منه حاله ، معرب نموره ، والعوام يقولون نمونه ، والأنموذج بضم الهمزة لحن ، كذا قاله الصاغانى فى التكملة وتبعه المصنف ، قال شيخنا نقلا عن النواجى فى تذكرته : هذه دعوى لا تقوم عليها حجة ، فما زالت العلماء قديما وحديثاً يستعملون هذه اللفظة من غير نكير (التاج)

٣٩ — (ص ١٨٧)

إمليسة إمليدة لو عُلِّقت ... فى صهوتيه العين لم تتعلق

وجاء فى الشرح : إمليسة إمليدة : أملس أملد ، أى لين ناعم . والذى وجدناه فى كتب اللغة أن الأمليسة : الصحراء التى لا شىء فيها من نبات ونحوه ، فاستعاره الشاعر هنا للفرس

قلت : روى البيت فى العقد فى قصيدة لحبيب يصف فرساً . وأغلب الظن أن القول هو أمليسه أمليده . والهاء فى اللفظتين ضمير يعود إلى (الأديم) فى بيت جاء فى الديوان المطبوع بعد هذا البيت :

صافى الأديم كأنما ألبسته ... من سندس برداً ومن إستبرق

والأمليد والأملود الناعم ، وإمليس أفعيل من الملاسة ، النعومة

٤٠ — (ص ١٧٧) وقيل لرجل جبان فى بعض الوقائع : تقدمْ . فأنشأ يقول :

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل ... أخاف على فخارتى أن تحطما
فلو كان لى رأسان أتلفت واحداً ... ولكنه رأس إذا راح أعقما

قلت : زاد الناسخون الواو فى أول البيت وصاحبه لم يجلبه وفى البيت خرم (٩) ، وهو فى شعرهم كثير ، والحركة فى (لى) تطبيع

٤١ — (ص ٤٢) وقال ابن قتيبة : لم يقل فى الهيبة مع التواضع بيت أبدع من قول الشاعر فى بعض خلفاء بنى أمية :

يغضى حياء ويُغضَى من مهابته ... فما يُكلَّم إلا حين يبتسم

وجاء فى الشرح : الشاعر هو الفرزدق

قلت : الذى قاله ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء) هو هذا : « تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب : ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل :

فى كفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع فى عرنينه شمم

يغضى ... البيت . لم يقل أحد فى الهيبة أحسن منه »

والبيت للحزين الليثى (عمرو بن عبد وهيب) فى أبيات قالها فى عبد الله بن عبد الملك « ووفد إلى مصر وهو واليها » كما جاء فى معجم الشعراء للمرزبانى ، وقد نسب البيت فى كتب كثيرة

(٩) الخرم حذف أول الوتد المجموع من أول البيت كحذف فاء فعولن هنا . وفى قول الشنفرى (لا تقبرونى أن قبرى محرم) الرسالة ٣٩٩ ص ٢٠٧ وقد جاء فى الشرح : فى البيت خذم ، وهذا تطبيع وإنما هو خرم

إلى الفرزدق خطأ ، وربه أولى به ، وفى الرسالة ٣١٦ ص ١٤٥٠ بحث فى هذه النسبة وأبيات الحزين

٤٢ — (ص ١٤٤) . . . أى المكائد فيها أحزم . قلت : هى المكايد مثل المخايل ؛ وهمزُ قراء معايش على التشبيه بصحائف خطأ . وقد وردت اللفظة فى الشرح وفى الصفحة ٢٤٣ مضبوطة

٤٣ — (ص ٨٠)

لو عُدّ قوم وقوم كنت أقربهم　　قربى وأبعدهم من منزل الذام

قلت : البيت فى مقطوعة منسوبة إلى هشام الرقاشى ، وقد ذكرت فى الشرح روايات مختلفة لها ، ورواية الحماسة والخزانة[10] التى لم يشر إليها قد تكون أصحها ، وهى هذه[11]

أبلغْ أبا مِسمع عنى مغلغلَة　　وفى العتاب حياة بين أقوام[12]

أدخلت قبلىَ قوماً لم يكن لهم　　فى الحق أن يدخلوا الأبواب قدامى

لو عُـدّ قبر وقبر كنت أكرمهم　　ميتاً وأبعدهم عن منزل الذام[13]

فقد جعلت إذا ما حاجتى نزلت　　بباب دارك أدلوها بأقوام

٤٤ — (ص ٣٥٤) ومنهم (أى من الأجواد) يزيد بن حاتم . كتب إليه رجل من العلماء يستوصله ، فبعث إليه ثلاثين ألف درهم . وكتب إليه : أما بعد فقد بعثت إليك بثلاثين ألفاً لا أكثرها امتناناً ، ولا أقللها تجبراً ، ولا أستثيبك عليها ثناء، ولا أقطع لك بها رجاء . والسلام

قلت : فبعث إليـه بثلاثين ألف درهم ، كما جاء بعد ذلك ، والتعدية بالباء هنا أسلم ، ولقولهم بعثه وبعث به قصة طويلة أنقل بعض ما قيل فيها :

فى اللسان : بعثه أرسله وحده ، وبعث به أرسله مع غيره . . .

فى درة الغواص فى أوهام الخواص : ويقولون بعثت إليه بغلام وأرسلت إليـه هدية ، فيخطئون فيهما لأن العرب تقول فيما يتصرف بنفسه بعثته وأرسلته[14] ، كما قال تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا) ، وتقول فيما يحمل بعثت به وأرسلت به ، كما قال سبحانه إخباراً عن بلقيس : (وإنى مرسلة إليهم بهدية)

فى شرح الدرة للخفاجى : قال ابن برّى : بعث يقتضى مبعوثاً متصرفاً كان أو لا ، تقول : بعثت زيداً بغلام وبكتاب ، فلهذا لزمته الباء ، وكذا أرسلت يقتضى مرسلاً ومرسلاً به متصرفاً كان أو غير متصرف . . .

فى المصباح : كل شىء ينبعث بنفسه ، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه ، وكل شىء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية ، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به . وأوجز الفارابى فقال : بعثه أى أهبّـه[15] ، وبعث به : وجهه . . .

وروى خبر (العقد) فى (الأمالى) وفيه (روح بن حاتم) مكان (يزيد بن حاتم) و (لا أقللها تكبراً) مكان (لا أقللها تجبراً) و (تمنناً) مكان (امتناناً)[16]

ونقل البغدادى فى (الخزانة) هذا الخبر من ابن عبد ربه ، أى من (العقد) ، وفيها (لا أقللها تحقيراً)

وقد حوت خزانة كتب البغدادى نسخة من (العقد) ؛ وقد تكون هى الصحيحة المضبوطة . فأين هذه النسخة وأين سائر كتب الرجل التى سماها فى مقدمة مصنفه وهى ــ كما قال ــ :

« المواد التى اعتمدنا عليها ، وانتقينا منها ، وهى ضروب وأجناس » ؛ وقد « اجتمع عنده بفضل الله من الأسفار ، ما لم يجتمع عند أحد فى هذه الأعصار »

وقد كان البغدادى فى القاهرة ، وفيها خزانة كتبه العجيبة المدهشة ، والعهد قريب . قال فى آخر مؤلفه : « وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة فى غرة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف . وانتهاؤه فى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين . فتكون مدة التأليف ست سنين مع ما تخلل فى أثنائها من العطلة بالرحلة . فإنى لما وصلت إلى شرح الشاهد (٦٩) بعد (٦٠٠) سافرت إلى قسطنطينية فى الثامن عشر من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين ،

(١٠) جـ ٣ ص ٣٤٥　(١١) فى الخزانة : أوردها أبو تمام والأعلم الشنتمري وصاحب الحماسة البصرية فى حماساتهم لعصام بن عبيد الزمانى ونسبها الجاحظ فى كتاب البيان لهمام الرقاشى ، وفى الشرح فى العقد : ونسب (الشعر) فى عيون الأخبار إلى أبى القمقام الأسدى

(١٢) المغلغلة : الرســالة لأنها تغلغل إلى الانسان حتى تصل إليه من بعد ، من قولهم تغلغل الماء إذ أدخل بين الأشجار (الخزانة)

(١٣) قال الطبرسى : يريد لو عـدت القبور قبراً قبرا إلا أنه اختصر وحذف القبور وجعل القبر فاعلا (نائب فاعل) وأزاله عن سنن الحال. وقيل معناه لو عد قبرى وقبر الداخل قبلى لـكنت أكرم منه ميتا ، والذام لغــة فى الذم

(١٤) قلت : هل يرى الحريرى الريح والصيحه والحاصب مما يتصرف بنفسه ؟ ففى (الـكتاب) : إذ أرسلنا عليهم الريح ، إنا أرسلنا عليهم حاصبا ، إنا أرسلنا عليهم صيحة . . .

(١٥) أهبه : نبهه ، بعثه من منامه وهب السيف اهتز وأهبه هزه . . .

(١٦) عدى بعث فى (الأمالى) فى الجملتين بالباء

ولم يتفق لى أشرح شيئاً إلى أن دخلت مصر المحروسة فى اليوم السابع من ربيع الأول ثم شرعت فى ربيع الآخر وقد يسر الله التمام وحسن الختام ... »

ومن الكنوز التى ذكرها فى المقدمة : « الكامل للمبرّد [١٧] وشرحهُ لابن السيد البطليوسى ، ولأبى الوليد الوقشى ، ولغيرها [١٨] ... »

فأين هذه الشروح ؟! أين هذه الشروح ؟! هل عثر عليها أحد ؟! هل اطلع على أحدها أحد ... ؟ !

* * *

(١٧) المبرد بفتح الراء المشددة كما ضبط ابن خلكان ، تراجع الرسالة ١٩٩ ص ٧١٢ والرسالة ٢٠١ ص ٧٩٧ والرسالة ٢٠٥ ص ٩٥٨ وخزانة الحموى ص ٢٥٦ والأساس ٢ ص ١٩٣

(١٨) ومن تلك الكنوز : كتاب النبات فى مجلدات كبار ستة لأبى جنيفة الدينورى ، منتهى الطلب من أشعار العرب فيه أكثر من ألف قصيدة ، تآليف أبى على الفارسى كالتذكرة القصرية والمسائل البغدادية والمسائل العسكرية والمسائل البصرية والمسائل المنثورة ، كتاب الشعر والشعراء للجاحظ ، أشعار لصوص العرب ... ، أمالى الزجاجى الكبرى ، أمالى الصولى ، أغلاط الكامل للمبرد ، الحماسة البصرية

هل يكفى التراث الشرقى

لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين؟

للأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك

التراث الشرقى فى العلوم والآداب والفنون هو ولا شك تراث مجيد ، ولكنه مع ذلك لا يكفى لنضج الحياة العقلية الحديثة عند الشرقيين ؛ بل يجب لكى يصل هذا النضج إلى مداه من التقدم أن يجمع إلى التراث الشرقى خير ما أنتجته وتنتجه القرائح والعقل البشرى فى الغرب. ولا غضاضة علينا فى ذلك ، فإن الأمم الأوربية نفسها وهى التى تم نضج الحياة العقلية فيها ، لا تفتأ كل منها تقتبس عن أية أمة أخرى فى الغرب أو الشرق ما يظهر فيها من مستحدثات التجارب والاكتشافات والمذاهب العلمية . ولذلك قالوا : إن العلم لا وطن له ؛ وإن كان العالم له وطنه كما قال « باستور »

إن التراث الشرقى فى ذاته لم يقف عند مستوى واحد ، ولم يقتصر على طابع واحد ، بل كان ينمو ويتطور على مدى العصور . وفى خلال هذا التطور قد اقتبس عن التراث الغربى القديم ، وكان ذلك من عناصر نموه وارتقائه

فالآداب والعلوم والحياة العقلية فى عصر الجاهلية تختلف طبعاً عما صارت إليه فى صدر الإسلام على عهد الخلفاء الراشدين، ثم فى عصر الأمويين والعباسيين ؛ وإنتاج القرائح والعقول فى هاتيك العصور قد نما وتطور تبعاً لسنة التقدم الإنسانى ، بحيث أن التراث الشرقى يحتوى على أدوار متعاقبة ، لكل دور طابعه وخصائصه . ولست أريد التوسع فى بيان ذلك لكى لا نخرج عن جوهر الموضوع ، وأكتفى بالإشارة إلى أن الحياة العقلية والأدبية فى عصر العباسيين قد نمت وازدهرت واتسعت آفاقها عما كانت عليه فى عهد الأمويين ، وكان من مظاهر هذا الازدهار ظهور العلوم الدخيلة أى المقتبسة عما وضعه رجال العلم والفلسفة والأدب فى الحضارات القديمة : كالمصريين والفرس واليونانيين والرومان . فإذا قلنا : إن علوم المصريين القدماء والفرس تعد من التراث الشرقى ، فإن علوم الإغريق والرومان وآدابهم هى من التراث الغربى القديم

نقل إذن علماء العصر العباسى علوم اليونانيين إلى اللغة العربية ، فترجموا الفلسفة والأدب والمنطق عن أفلاطون وأرسطو ، والطب عن أبقراط وجالينوس ، والرياضيات والفلك عن أقليدس وأرخميدس ، وغير ذلك كثير ، فكان لهذا الاقتباس أثره فى نضج العلوم والأفكار واتساع محيط الحياة العقلية عند الشرقيين . ولا شك أن العصر العباسى فى التراث الشرقى يعدّ العصر الذهبى من الناحية العلمية والأدبية والفلسفية . وقد ظهر طابع هذا العصر فى الشعر والأدب والعلم والفلسفة ، وفى تمدد العلوم وظهور علوم جديدة ، كالطب والكيمياء والصيدلة والجغرافيا والموسيقى والفنون الجميلة . فهذا الطابع يدلنا على أن ازدهار الحياة العقلية فى التراث الشرقى فى ذاته كان مقترناً بالاقتباس عن الحضارات الأخرى

انتهى هذا العصر الذهبى بسقوط الدولة العباسية ، أو بعبارة أخرى بسقوط بغداد فى يد التتار سنة ٦٥٦ للهجرة (١٢٥٨ م) وجاء العصر المغولى ، ثم العصر العثمانى ، وفيهما أصاب التراث الشرقى الركود ثم الجمود ، وتبع ذلك وقوف حركة التقدم . نعم إن قرائح العلماء والأدباء فى الشرق قد استمرت فى الإنتاج

إلى ابتداء العهد العثماني ، ولكن مما لا شك فيه أنه منذ الفتح العثماني لمصر سنة ١٥١٧ قد وقفت حركة التقدم تماماً ، فكسدت العلوم ، وانحط الأدب ، وجدت القرائح ، وتراجعت العقول ، وانقضت نحو ثلاثة قرون والشرق في تأخر من الناحية العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ بينما الغرب قد أخذ بأسباب الحيـاة والنهوض فسبق الشرق عدة قرون في النضج العقلي . فبديهي أنه عند ما ابتدأ الشرق يستفيق من سباته العميق في نهاية القرن الثامن عشر كان لا بد أن يقتبس من الغرب ما سبقه إليه في خلال القرون المتعاقبة ؛ لأن العلوم والآداب والاكتشافات والاختراعات قد ضاعفت تراث الغرب بحيث لا يستطيع الشرق أن يأخذ قسطه من الحياة العقلية إلا إذا اقتبس عنه خير ما انتجته قرائح علمائه وفلاسفته وأدبائه في خلال هـذه الحقبة الطويلة من الزمن . فمثل الشرق في ذلك كمثل التلميذ الذي يقعده المرض أو الكسل عن متابعة الدرس والتحصيل زمناً ما ، فإذا عاد إلى الدرس كان مضطراً إلى أن يأخذ عن أساتذته أو عن مؤلفاتهم ومذكراتهم ما فاته في مدة المرض أو الكسل لكي يصل إلى مستوى أقرانه في المدرسة

ولم يتردد الغرب حين بدأ عهـده بالبعث والنهوض في أن يقتبس عن التراث الشرقي حضارته وعلومه ؛ فقد نقل علماؤه فلسفة ابن رشد ودرسوها واقتبسوا منها ، وكانت ينبوعاً لليقظة العلمية في الغرب

واقتبسوا أيضاً في عهد الحروب الصليبية العلوم والحضارة الشرقية وحملوها إلى بلادهم وأفادوا منها ، وكانت من العوامل الجوهرية في نهضة أوربا

فمن الواجب إذن على الأمم الشرقية إلى جانب إحياء التراث الشرقي القديم أن تقتبس عن الغرب تراثه الجديد ، وتأخذ عنه محاسنه ومزاياه . ولو أن حركة التقدم قد تابعت سيرها في الشرق ولم يقفها ذلك التأخر الذي أصابه خلال قرون عديدة لزاد من غير شك تراثه في العلوم والآداب ، ولما سبقه الغرب في هذا المضمار . أما وقد بعد عهده بازدهار الحياة العقلية فعليه إذا أراد بعث هـذه الحياة أن يقتبس عن الغرب علومه الحديثة . وهذا على وجه التحقيق ما اتجهت إليه حركة النهضة العلمية والعقلية في مصر منذ بداية القرن التاسع عشر ، عند ما ولي أمرها محمد علي الكبير . فهو إذ أراد أن يبعث الحياة العلمية والعقلية في مصر لم يقتصر على إحياء التراث الشرقي القديم بل نقل إليها إلى جانب ذلك علوم الغرب وآدابه . وأوفد لذلك البعثات العلمية إلى أوربا فتلقى أعضاؤها العلوم والفنون والآداب في جامعات فرنسا وغيرها وعادوا إلى مصر وقد اكتملت ثقافتهم فنقلوا إلى اللغة العربية كتب الطب والطبيعيات والرياضيات والفنون الحربية والآداب والحقوق والعلوم الاقتصادية والاجتماعية . فهؤلاء العلماء الذين استوفوا قسطهم من التراث الغربي هم الذين على يدهم بعث التراث الشرقي القديم في ثوب قشيب ، فعادت إليه الحياة . ولو أنهم اقتصروا على هذا التراث وحده لما كان في استطاعتهم بعثه واستظهار مفاخره ومزاياه . فعلى ضوء العلوم الأوربية والثقافة الأوربية قد تكشفت لهم حقائق التراث الشرقي وفهموها حق الفهم ، وربطوا بينها وبين عوامل التقدم الحديث بحيث تابعوا هذه العوامل فنهضوا بهذا التراث وجعلوه ملائماً لمقتضيات العصر الحاضر

هناك وجهات نظر ثلاث لا تزال النهضة العلمية والعقلية في الشرق مترددة حائرة بينها : إحداها ترى إلى الاقتصار على التراث الشرقي القديم وإحيائه ، وقصر الحياة العقلية على حدوده ومقتضياته ؛ وهذه الوجهة لا تكفي فيما أعتقد لاستكمال أسباب النهضة والحياة في العصر الحديث . والثانية اطراح التراث الشرقي جانباً وقطع صلاتنا بالماضي واقتباس الحضارة الأوربية والعقلية الأوربية كما هي بما لها وما عليها ، بمزاياها وعيوبها . وهذه أيضاً وجهة نظر خاطئة تنتهي بنا إلى اقتباس العيوب دون المزايا ، وتؤدي إلى نوع من التبعية العقلية والثقافية لأوربا تتطور مع الزمن إلى تبعية سياسية وقومية . والوجهة الثالثة هي إحياء التراث الشرقي مع اقتباس خير ما أنتجه وينتجه التراث الغربي من الناحية العلمية والأدبية ؛ وهي في اعتقادي الطريقة الوسط التي تكفل لنا نهضة صحيحة في الحياة العقلية والفكرية

إني أجد في تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ما يؤيد وجهة نظري ؛ فهو الإمام الديني العظيم ، ومع ذلك قد اقتبس في علمه وتفكيره عن العلوم والفلسفة الأوربية ، وطالع الكثير من كتب العلماء والمستشرقين والفلاسفة الأوربيين . وكان يتابع دائماً حركة التقدم العلمي في أوربا ويخالط العلماء الغربيين ويحادثهم ويأخذ

الغنـــــاء والموسيقى
وحالهما فى مصر والغرب
للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ٣ —

اشتدّ الاتصال بين مصر والغرب منذ أوائل القرن الماضى بتعدد ضروبه ، مع الزمن ، وتشعّب دروبه ؛ فنمت نزعة المصريين إلى تقليد الغربيين ، شأن المتخلّف المُستضعَف مع المتقدم صاحب الشوكة والغلَبة السياسية

وخرج العالم من الحرب الكبيرة الماضية ظمآن إلى التشييد والتجديد والتفوق ، مبتلى بأنواع من الفساد وصنوف من الادعاء، وأدرك عندنا جيل نبت فى أثنائهـا أو بُعيدها ، واتسع أمامه ميدان التقليد فى الضلالة والهدى ؛ وكثر بيننا سالكو مناهجه ومدعو العلم والفن ، والابتكار والعبقرية ؛ فوُجد بطبيعة الحال مَن دعا إلى التجديد فى الغناء والموسيقى ، وإلى تقليد الغربيين فيهما ، وأقبل عليه فريق من المشتغلين بهما

قام بعضهم بتقليد طائش وهم يحسبون أنهم يحذون مثال الغرب فى فنه ؛ وكان الأصوب والأجدى ألا يقلدهم إلاّ من كان على قدر من المعرفة بفنهم ، بماهيّته الأصلية وأصوله وأنواعه ، مع صحة الفهم لتعابيره ، كى يكون فى مأمن من تشويه ما فى يده بأخلاط لا هى من هذا ولا هى من ذاك ، كما صنع أناس لا يعرفون من الغناء والموسيقى جملة ، إن عرفوا ، سوى المقام وربع المقام وبعض النغمات ومواقعها على المعازف ، وسوى أقيسة ما يغنون أو يعزفون من الألحان الشرقية والغربية

تورط هؤلاء فى تخليط قديمهم المسيخ بما يسرقون ويحرفون من الألحان والموسيقى الغربية القديمة والحديثة ، ومن أصوات « الجاز » وهم يسمون هذا الخليط الغريب من ألحانهم وغنائهم وموسيقاهم فناً وتجديداً ، مع أن هذا الجديد موسوم بالعيوب المبينة فى هذه الكلمات ، ومع ركوده فى قرار سحيق يبعد به كل البعد عن مستوي الفن الحقيق الذى أوضحنا ماهيته الأصلية

فكل لحن من أكثر جديدهم ألف صنف (أو سلطة روسية — على استعارة فى العامية الفرنسية للمجموع المشوّش من الأشياء المختلفة) فقد تجد فى هـذه السلطة المجيبة عبارة صوتية ممسوخة من أوبرا ، تتصل بأخرى من شارلستون ، تعانق ثالثة من لحن دور عربى تنتهى إلى نغم من تنجو أو رُمْبا ، يتعلق بذنبه شىء من موسيقى « عشرة بلدى » وماذلك إلا تنافر صارخ بين دلالات موسيقية على مدلولات تجمع غضبة مستفحلة - مثلاً - إلى خلاعة إلى بكاء إلى إيحاء شهوى ، إلى ما لسنا نفهم فى الغناء الجديد أو المبتكر ، من أصوات يمطّ ويمدُّ فيها حرف أو أحرف مداً قلقاً فى مواقعه ، شاطاً خالياً من التناسب مضحكا فى شذوذه ؛ وتسمع منها جلجلات مستنكرة ينبو عنها الطبع ،

منهم خير ما أنتجوا . ولقد كان لذلك أثر كبير فى اتساع مداركه وتفكيره ، بل فى قدرته على الدفاع عن الإسلام وتخليصه من الشوائب التى علقت به فى عصور الركود والجمود ، وتفهيم المسلمين وغير المسلمين حقائقه السليمة . ولا أعتقد أنه كان يصل إلى هذه المنزلة لو اقتصر فى علمه وإدراكه على مدارك التراث الشرقى . ولا أعتقد أن معاصريه من العلماء الذين اقتصروا على التراث الشرقى قد وصلوا إلى مثل هذه المنزلة أو خدموا الإسلام مثلما خدمه الأستاذ الإمام

فحينما حمل (هانوتو) حملاته المشهورة على الإسلام لم تجد من يرد هذه الحملات ويفندها تفنيداً علمياً سديداً مثل الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وكذلك لا تجدون كتاباً دحض حجج الطاعنين فى الإسلام مثل كتابه (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) ومن يطالع هذا الكتاب أو يطالع رده على هانوتو يجد مبلغ ما اقتبسه عن الفلسفة الأوربية والعلم الأوربى والشواهد الأوربية

قد يكون لنبوغ الشيخ محمد عبده دخل فيما بلغه من المكانة العلميـة ، ولكن هذا النبوغ ذاته قد وجهه إلى الاقتباس من التراث الأوربى إذ وجده ضرورياً لاكتمال نضجه وثقافته وعلمه وفى الحديث الشريف : (اطلبوا العلم ولو فى الصين)

وصفوة القول أن التراث الشرقى يحتوى ولا شك على كنوز من العلم والحكمة والأدب ، ولكننا فى حاجة أيضاً إلى كنوز التراث الغربى الحديث لكى يتم لنا النضج والكمال فى حياتنا العقلية

عبد الرحمن الرافعى

وخلخلات مستغربة غالباً ، لوقوعها فى مواضع ليست لها بين عويل ونواح طويل

واللحن البدع فى الغناء على ذوق الآن (الموضة : à la mode) ، مركب أيضاً، بعضه شرقى وبعضه غربى، يؤلف مسخاً على سنة هذا المذهب الحديث حتى فى الأغنية العربية التى يلفقونها على أوزان لحن بأكمله من رمبا مشهورة أو تنجو معروف ؛ إذ يدخلون فيه عبارات صوتية من ألحان غربية مباينة له وإذ تتنافر مدلولاته الصوتية ومعانى كلام الأغنية فى أذن من يدرك اختلاف المقام المعيّن بالنص العربى ، والمقام المعين باللحن خصوصاً إذا كان يعرف كلام الأغنية الغربية التى سُرق منها اللحن ، فأبشع بهذا الفن الزائف !

الحق أننا لم نفهم غرض القائلين بأن الموسيقى الغربية أقدر من الشرقية الحاضرة ، وبأنه يجب من أجل ذلك أن نحتذى على مثل منشئيها فى موسيقانا ؛ فلم نفطن لما يجمل بنا أن نقلد فيه الغربيين ، بل اعتززنا بفننا الضالّ ، محدود الإحساس والمدى توهما منا أن موسيقانا أوسع مجالاً وأقدر بربع المقام الذى به نفاخر ونكابر ، ومن قلّت معرفته زاد اعتقاده المعرفة

كان الأحرى أن نقلد غناء الغرب وموسيقاه من حيث هما إجهار بالدلالات الصوتية فى الكلام ، أى لغة نغمية تعبر تعبيره عن خواطر القلب وأحاسيس النفس وجلاجلها ، لأن تلك الدلالات مصداق القائل :

« إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا »

نعم ، كان الأحرى أن نقلد غناء الغرب وموسيقاه من حيث هما يصفان ما يصف الكلام ، ويتناولان مثله شتى الموضوعات من نواحى الحياة الإنسانية وظواهر الطبيعة ومظاهرها التى يتأثر منها الإنسان الحى فى أحضانها ، لأنهما يسايران دلالة اللفظ الصوتية ، مُفخّمين لها بالإنشاء الغنائى وبالإنشاء الموسيقى ، ويصفان مواقف المسرحيات التى تمثل الحياة من الأوجه المختلفة وكان يحسن أن نقلد الغرب فيما ارتقت إليه موسيقاه من التصوير(١) الذى عظم شأنه بالتحسين والابتكار فى المعازف

ولقد رأى زوّار معرض الموسيقى بمدينة فرانكفور الألمانية سنة ١٩٢٨ أن معازف الغربيين كانت تشبه معازف الشرقيين ، وأنهم ظلوا يحسّنونها ويستحدثون غيرها حتى أصبحت آلاتهم الموسيقية متقنة ، ميسّرة للمنشئ الموسيقى أن يزوّق سياق اللحن الأصلى بألوان من أصواتها تصاحبه وتنمّقه وتؤنّقه فى تواؤم بينها وموافقة له ، فتحجب بهذا التصوير كل وحدة مملّة وكل اطراد مسئم . وقد يبلغ عدد العازفين فى النوبة الكبرى زهاء مائة

ذلك كله هو الشىء الجوهرى الذى يجب أن نعالج تقليد الغربيين فيه عسى أن يشبه فننا فن الأحياء فى العبارة عن الشعور السليم والمدارك السامية ، وإلا فما فضل ربع المقام الزائد ؟ وماذا يفيدنا ونحن نقف جامدين به وبالمقامات والنغمات جميعاً عند موضوع واحد محدود ليس فيه غير الذلة المبشمة ، والحزن القتال ، والشهوة الوضيعة ؟ ولماذا نرضى بالجمود وليس فى فطرتنا الشرقية شىء يمنعنا من التعبير الفنى عن حركات ما أودعنا الخالق وأودع الغربيين على السواء من نفس بشرية واحدة وغرائز وملكات متماثلة ؟

يعتذر بعض المغنين والموسيقيين عن عيوب فنهم بذوق الجمهور الذى يرتاح إليه ولا يقبل منه بديلاً . وهم على حق من حيث أنهم من هذا الجمهور وأنه يحتملهم ، ومن حيث أن الذوق كالمثل الأعلى : ثمرة تنتجها عناصر عديدة منها الوراثة ، والبيئة والتطور .

لكن حقّ كذلك أن من عوامل التطور تأثير البيئة فى الأفراد وتأثرها منهم ، خصوصاً من الشخصيات القوية بينهم ؛ فالفنان يؤثر فى بيئته وجمهوره وإن تأثر منهما ، ومن هنا نصيبه فى تهذيب ذوق الجمهور وإعلاء مثله الأعلى بقدر مواهبه وسحر فنه ، ومن هنا تبعة الفنون الضالة ومسئولية أصحابها الخلقية فى إفساد الأذواق

وحق أيضاً أن أولئك طلاب منفعة وليسوا بفنانين إلا مجازاً، لأن محب فنه لا يضحيه تملقاً للعامة والجماهير ، بل يقدسه قانعاً من الكسب بما يُمسك الرمق . وإن شئت مثلاً لتقديس الفن فانظر كيف أن الموسيقار الفرنسى « بيزيه(٢) — منشئ موسيقى كرمن ، الرواية المشهورة عند فناننا منذ ألف الخلى

(١) Harmonie

(٢) Georges Bizet

ألحان أغانيها العربية[٣] — لم يستسلم لذوق مواطنيه الفرنسيين، حين استهجنوا هذه الموسيقى الوصفية التي أبدع فيها صور بها من حياة الإسبانيين، ولم يهمل أسلوبه الفني؛ فلما علا قدره بكرمن في عاصمة النمسويين وطار صيته رجعوا عن خطئهم، وعرفوا فضل نابغتهم.

نحن إن كففنا عن العيش في الظلام، وفتحنا بصائرنا لنور الحق، وسلك الموهوبون منا سبل الإصلاح، ظهر فينا المغني الأحوزي والموسيقار العبقري

فإذا أتيح للموسيقى والغناء المصريين أن يظفر من محبيهما فنانون لا تعبأ شخصياتهم القوية بغير فنهم، ويعرفون ما عندنا وعند غيرنا، فإنهم يأتون بالجديد السليم الذي يسري في النفوس، ويسوق طوائف المحترفين والهواة والمستمعين إلى الطريق القويم فينصلح الذوق العام شيئاً فشيئاً؛ ثم يتصعَّد مستوى الفن مع انتشار التعليم والثقافة، وارتقاء البيئة والحياة الاجتماعية، فنبلغ الشأو بعد حين. ووجود نقاد يدعون إلى سلوك سبيل الإصلاح هو علامة أوانه بل آية إبّانه.

(٣) كتبنا نقداً لتمثيل هذه الرواية بالعربية، ولألحانها وموسيقاها التي ألفها الحلبي، ولعله تقد يزيد هذه الكلمات وضوحاً لمن يرجع إليه؛ وقد نشرته الأهرام بأعداد نظنها صدرت من منتصف ابريل سنة ١٩١٧

ومن لم يصدق ما قرأ في هذه الكلمات فإني أوصيه بأن يطلع على بعض كتب الموسيقى الشرقية، وعلى شيء من تاريخ الموسيقى الغربية ومذاهب أصحابها ونقادها؛ وبأن يصغي بانتباه إلى مختارات منها بإرشاد من يفهمها[٤]؛ ولعله يستيقن بعد ذلك أن سبيل الإصلاح والترقي في الغناء والموسيقى عندنا هو دراستهما دراسة فنية ثقافية جدية، وتقليد الغرب فيما تقدمت الإشارة إليه؛ وليس شك في أن المعارضين يسلمون بهذا في مستقبل قريب أو بعيد، تسليم أناس كانوا قبل سنين أدبرت ينعون على المستنيرين مغالجتهم إنقاذ اللغة والأدب من جمود طالما أرادوهما عليه، ويرمون بما ليس دون الكفر كل من قال بوجوب الإصلاح من شئون الأزهر

محمد توفيق السلحدار

(٤) ان محطة الاذاعة تسمع الجمهور من حين إلى حين بعيد شيئاً من الموسيقى الغربية، وانها لتحسن عملا اذا هي ساعدت على دفع المغنين والموسيقيين في حركة اصلاح، وذلك بان تذيع مرة على الأقل في الأسبوع مختارات من الموسيقى الغربيه تعزفها نوبة كاملة، جديرة بعزفها، مختارات مخصوصة يتقدم كلا منها شرح لموضوعه وبيان لدلالاته الصوتية، والفرق بينه وبين سابقه ولاحقه، ولو بإيجاز.

من ليالى كليوبترا

للأستاذ على محمود طه

[كتبت إلى الشاعر تقول : « قرأت لك عن ليلة النيل والموج ، وهو يروى حلم ليل من ليالى كليوبترة ، فهلا وصفت لنا ليلة من هذه الليالى ؟ وهل لنا بصورة حلم من أحلامها ؟ » فإلى صاحبة تلك الإثارة الرائعة إهداء هذه القصيدة]

كِلْيُوبَتْرَا ! أىُّ حُلْمٍ مِن لَيَالِيكِ الحِسانِ
طَافَ بالموْجِ فَغَنَّى وَتَغَنَّى الشاطِئانِ
وَهَفَا كلُّ فُؤَادٍ وَشَدَا كلُّ لِسانِ
هَذِهِ فَاتِنَةُ الدُّنيا وَحَسْنَاءُ الزَّمانِ

بُعِثَتْ فى زَوْرَقٍ مُسْتَلْهَمٍ مِنْ كلِّ فَنّْ
مَرِحِ المِجْدَافِ يَخْتَالُ بِحَوْرَاءَ تُغَنِّى

يَا حَبِيبى هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّى آهِ لوْ شارَكْتَنِى أفْرَاحَ قلبى !

نَبْأَةٌ كالكأْسِ دَارَتْ بَيْنَ عُشَّاقٍ سُكَارَى
سَبَقَتْ كلَّ جَنَاحٍ فى سَماءِ النِّيلِ طَارَا
تَحْمِلُ الفِتْنَةَ وَالفَرْحَةَ وَالوَجْدَ المُثَارَا
حُلْوَةً صَافِيَةَ اللَّحْنِ كأَحْلامِ العَذَارَى

حُلْمُ عَذْرَاءَ دَعَاهَا حُبُّهَا ذَاتَ مَسَاءِ
فَتَغَنَّتْ بِشِرَاعٍ مِنْ خَيَالِ الشُّعَرَاءِ

يَا حَبِيبى هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّى آهِ لوْ شارَكْتَنِى أفْرَاحَ قلبى !

وَتَجَلَّى الزَّوْرَقُ الصَّاعِدُ نَشْوَانَ يَمِيدُ
يَتَهَدَّاهُ عَلَى المَوْجِ نَوَاتِيُّ عَبِيدُ
المَجَادِيفُ بِأَيدِيهِمْ هُتَافٌ وَنَشِيدُ
وَمُصَلُّونَ لهمْ فى النَّهْرِ مِحْرَابٌ عَتِيدُ

سَحَرَتْهُمْ رَوْعَةُ اللَّيْلُ فَهُمْ خَلْقٌ جَدِيدُ
كُلُّهُمْ رَبٌّ يُغَنِّى وَإِلهٌ يَسْتَعِيدُ

يَا حَبِيبى هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّى آهِ لوْ شارَكْتَنِي أفراحَ قلبى !

إِصْدَحِى أَيَّتُهَا الأَرْوَاحُ باللَّحْنِ البَدِيعِ
وَامْرَحِى يَا رَاقِصَاتِ الضَّوْءِ بالمَوْجِ الخَلِيعِ
قَبِّلِى تَحْتَ شِرَاعِى حُلُمَ الفَنِّ الرَّفِيعِ
زَوْرَقاً بَيْنَ ضِفَافِ النِّيلِ فى لَيْلِ الرَّبيعِ

رَنَّحَتْهُ مَوْجَةٌ تَلْعَبُ فى ضَوْءِ النُّجُومِ
وَتُنَادِى بِشُعَاعٍ رَاقِصٍ فَوْقَ الغُيُومِ

يَا حَبِيبى هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي آهِ لوْ شارَكْتَنِى أفْرَاحَ قلبى !

لَيْلُنَا خَمْرٌ وَأَشْوَاقٌ تُغَنِّى حَوْلَنَا
وَشِرَاعٌ سَابِحٌ فى النُّورِ يَرْعَى ظِلَّنَا
كَانَ فى اللَّيْلِ سُكَارَي وَأَفَاقُوا قَبْلَنَا
لَيْتَهُمْ قَدْ عَرَفُوا الحُبَّ فَبَاتُوا مِثْلَنَا

كلَّمَا غَرَّدَ كأْسٌ شَرِبُوا الخَمْرَةَ لَحْنَا
يَا حَبِيبِى كلُّ ما فى اللَّيْلِ رُوحٌ يَتَغَنَّى

هَاتَ كأْسِى إِنَّهَا لَيْلَةُ حُبِّى آهِ لوْ شارَكْتَنى أفْرَاحَ قلبى !

يَا ضِفَافَ النِّيلِ باللهِ وَيَا خُضْرَ الرَّوَابى
هَلْ رَأَيْتُنَّ عَلَى النهرِ فَتًى غَضَّ الإِهَابِ
أَسْمَرَ الجَبْهَةِ كالخَمْرَةِ في النُّورِ المُذَابِ
سَابِحاً فى زَوْرَقٍ مِنْ صُنْعِ أَحْلامِ الشَّبَابِ ؟

إِنْ يَكنْ مَرَّ وَحَيَّا مِن بَعِيدٍ أو قَرِيبِ
فَصِفِيهِ ، وَأَعِيدِى وَصْفَهُ فَهْوَ حبيبى !

يا حبيبي هَذهِ لَيْلَةُ حُبِّى آه لوْ شاركتَنى أفراحَ قلبى !

أَنْتِ يَامَنْ عُدْتِ بالذِّكْرَى وَأَحْلامِ اللَّيَالِي
يَا ابنَةَ النهرِ الذى غَنَّاهُ أَرْبَابُ الخَيَالِ
وَتَمَنَّتْ فِيهِ لوْ تَسْبَحُ رَبَّاتُ الجَمَالِ
مَوْجُهُ الشَّادِى عَشِيقُ النُّورِ مَعْبُودُ الظِّلالِ

لم يَزَلْ يَرْوِى وَتُصْغِى للرِّوَايَاتِ الدُّهُورُ
والضِّفَافُ الخُضْرُ سَكْرَى والسَّنَى كأْسٌ تَدُورُ

حُلْمٌ لمْ تَرْوِهِ لَيْلَةُ حُبٍّ فَاذْكُرِيهِ واسمَعِى أفراحَ قلبى!

على محمود طه



الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى

تأليف الدكتور زكى محمد حسن

للدكتور محمد مصطفى

— ٢ —

وفى كلام المؤلف فى الفصل الذى كتبه عن « التذهيب » يقول فى (ص ٧٠) — بدون أن يذكر المرجع — ما يأتى :

« أما زخارف الصفحات المذهبة ، فكانت فى البداية خليطاً من العناصر الزخرفية الساسانية والبيزنطية والقبطية ، فضلاً عن الرسوم المنقولة من كتب اليهود وكتب المسيحيين من أتباع الكنيسة الشرقية »

وأجمل المؤلف فى العبارة التالية لهذه كلامه عن بعض هذه الزخارف .

وقد كتب الدكتور ريشارد أتينجهاوزن[11] بحثاً وافياً عن تذهيب المخطوطات فى إيران ووصف هذه « العناصر الزخرفية » فى صفحتى ١٩٤٤ و ١٩٤٥ من هذا البحث

ومن الغريب أن نلاحظ أن الدكتور زكى محمد حسن فى هذا الفصل الذى كتبه عن « التذهيب » (ص ٦٨ — ٧٣) لم يشر فى أية ناحية منه إلى هذا البحث الذى كتبه الدكتور ريشارد أتينجهاوزن فى نفس هذا الموضوع ، مع أن هذا البحث يعد أحدث بحث علمى واف عن تذهيب المخطوطات فى إيران ، فضلاً عن أن جميع البيانات التى كتبها الدكتور زكى عن التذهيب فى إيران فى عصوره المختلفة بما فى ذلك الحواشى الأربع التى وردت فى هذا الفصل من كتابه ، قد جاءت كلها ضمن ما كتبه الدكتور أتينجهاوزن فى البحث المذكور وما أورده فيه من حواش

فإننا نرى أن ما كتبه الدكتور أتينجهاوزن فى ص ١٩٤٧ مفصلاً عن ميزات المخطوطات المذهبة فى العصر السلجوقى ، قد أورده الدكتور زكى مجملاً فى الفقرة الأخيرة من ص ٧٠ ، وفى ص ١٩٥١ — ١٩٥٢ تفصيل ما جاء فى الفقرة الأولى من ص ٧١ عن الطريقة الجديدة فى الزخرفة والتذهيب فى هذا العصر . وفى ص ١٥٥٩ — ١٩٥٦ ما جاء فى الفقرة الثانية من ص ٧١ عن المصحف المحفوظ بدار الكتب المصرية . وفى ص ١٩٦٠ بما فى ذلك الحاشية رقم ١ ما جاء فى الفقرة الأولى من ص ٧٢ والحاشية رقم ١ فى الصفحة نفسها عن مخطوط الشاهنامة المؤرخ سنة ٨٣١ هـ . وأيضاً فى ص ١٩٦٠ وفى الحاشية رقم ٥ ما جاء فى الفقرة الثانية من ص ٧٢ والحاشية رقم ٢ فى هذه الصفحة عن أعلام المذهبين فى العصر التيمورى . وفى ص ١٩٦٠ — ١٩٦١ ما جاء فى الفقرة الثالثة ص ٧٢ عن رسوم النبات والزهور . وفى ص ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ما جاء فى الفقرة الرابعة من ص ٧٢ عن أعلام المذهبين فى العصر الصفوى . وفى ص ١٩٦٩ ما جاء فى الجملة الأولى من الفقرة الأولى فى ص ٧٣ عن بعض ميزات المخطوطات الصفوية . وفى ص ١٩٧٠ — ١٩٧١ والحاشية رقم ٩ ص ١٩٧٠ ما جاء فى العبارة الثالثة من الفقرة الأولى فى ص ٧٣ بما فى ذلك الحاشية رقم ٢ فى هذه الصفحة عن مخطوط بستان سعدى المحفوظ فى دار الكتب المصرية ، وما فيه من « رسم بطة تطير بين سحب صينية » . وفى ص ١٩٧٢ والحاشية رقم ٥ فى هذه الصفحة ما جاء فى الجملة الثانية من الفقرة الأولى فى ص ٧٣ والحاشية رقم ١ فى هذه الصفحة عن مخطوط منظومات الشاعر نظامى

ومما تقدم يتبين أن الدكتور ريشارد أتينجهاوزن قد سبق الدكتور زكى محمد حسن فى سرد الحقائق العلمية عن التذهيب فى إيران ، وقد كان من الواجب على الدكتور زكى أن يشير ، فى الفصل الذى كتبه عن التذهيب ، إلى هذا البحث ، لا سيما وأن جميع البيانات والحواشى التى أوردها فى هذا الفصل قد جاءت — كما رأينا — بنفس التسلسل الذى جاءت به ضمن البيانات والحواشى التى كتبها الدكتور أتينجهاوزن

وفى كلامه عن مسألة كراهية التصوير فى الإسلام (ص ٧٤ وما بعدها) لم يأت المؤلف برأى شخصي قاطع فى هذا الموضوع، بل اكتفى بأن قال : « على أننا لا نميل إلى أن نصدق أن التصوير كان غير مكروه فى عهد النبي عليه السلام وعصر الخلفاء الراشدين، بل أكبر الظن أن ... » ثم بدأ الفقرة التالية لهذه العبارة بقوله :

(١١) أنظر تذهيب المخطوطات الدكتور ريشارد أتينجهاوزن فى S. P. A. ج ٣ ص ١٩٣٧ — ١٩٧٤ .

« ومهما يكن من الأمر فإن . . . » وقد أشار إلى آراء العلماء الأوربيين بدون أن يناقشها وبدون أن يذكر شيئاً مما جاء فى أبحاثهم العلمية

ويقول فى ص ٧٦ : « وقد قيل إن العرب ورثوا عن اليهود كراهية التصوير ، وإن أقل الشعوب الإسلامية اكتراثاً بتحريم التصوير فى الإسلام إنما هى الشعوب غير السامية الأصل وبنى على ذلك قوله فى ص ٧٩

رابعاً — إن الإيرانيين قوم من الجنس الآرى ، ولم يكونوا كالساميين يحسون شعوراً نفسانياً يبعدهم عن التصوير

ولكن نسبة العرب إلى الجنس السامى لا تزال موضع دراسة عند علماء الأجناس . والمسألة هنا مسألة أحاديث نسبت إلى النبى (ص) ويهم المسلمين جميعاً — سواء منهم العرب أو الإيرانيون والشيعة أو السنيون — أن يعرفوا مبلغ صحة نسبتها إليه . وهل تربت كراهية التصوير فى الإسلام على هذه الأحاديث أو على عوامل أخرى دخيلة على الإسلام[١٢] . وإذا تكلمنا عن نسبة العرب إلى الجنس السامى ، وجب علينا أن نبحث فيما إذا كان مسيحيو الشرق الأدنى من الجنس السامى أو الآرى ، وهم كما نعلم من العرب أيضاً ، وقد أخذت عنهم مدرسة العراق أو المدرسة السلجوقية « الأسلوب الفنى » فى التصوير ، وكما يعترف المؤلف فى ص ٨٤ أن هذه المدرسة « كانت عربية أكثر منها إيرانية ، فالأشخاص فيها عليهم مسحة سامية ظاهرة ، والأسلوب الفنى مأخوذ — إلى حد كبير — عن الصور فى مخطوطات المسيحيين من أتباع الكنيسة الشرقية »

وفى ص ٨٠ أورد المؤلف حاشية طويلة عن تصوير مخطوطات كتاب كليلة ودمنة ، وكذلك بعض العبارات التى قالها ابن المقفع الذى ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية ، عن فوائد الكتاب تستنتج منها أن التصوير يمكن إرجاعه إلى عصور مبكرة فى الإسلام . ولكن المؤلف لم يذكر المرجع الذى أخذ عنه هذه الحاشية . وبالنسبة لما لهذه الحاشية من الأهمية الخاصة فى تاريخ التصوير ، أقول إننى قد عثرت على حاشية مماثلة لحاشية المؤلف كتبها الأستاذ بوب[١٣] يعلق بها على ما جاء فى كلام الأستاذ كينل عن مخطوط كليلة ودمنة

وقال المؤلف أيضاً فى ص ٨٠ « ونحن نذهب إلى أن المسئول عن طبيعة التصوير الإيرانى هى البيئة التى يعيش فيها الفنانون ، والأساليب الفنية التى ورثوها عن أسلافهم من سكان الهضبة الإيرانية وبلاد العراق والجزيرة والشرق الأدنى عامة ، فإن هؤلاء لم يكن لديهم ، من الحفلات والألعاب الرياضية والمناظر الطبيعية والعناية بالتربية البدنية وتقوية الأجسام ، ما يمكن أن يدفعهم — كالإغريق مثلاً — إلى دراسة الجسم الإنسانى دراسة متقنة والعمل على تصويره أو صناعة التماثيل له بدقة يراعى فيها صدق تمثيل الطبيعة »

ولكن المؤلف يقول فى ص ١٨٦ : « وقد استعمل الخزفيون فى الرى عدداً وافراً من الزخارف الهندسية والنباتية ، ورسموا معظم الحيوانات التى عرفوها فى ذلك الوقت ، ولا سيما الأرنب وكلب الصيد ، كما اتخذوا بعض الزخارف من مناظر الرقص والطرب والموسيقى والصيد ، ولعب الصوالجة (البولو) والحفلات الرسمية ، بل لقد رسم أحدهم صورة طبيب يفصد سيدة أنيقة »

وعلاقة خزف مدينة الرى بالتصوير يقول عنها المؤلف ص ٨٥ : « ولعل أكبر دليل على العلاقة الوثيقة بين هذه الصور السلجوقية وإيران أن رسومها تشبه الرسوم الموجودة على الخزف الإيرانى المعروف باسم (مينائى) والذى كانت مدينة الرى أعظم مراكز صناعته »

ومن عبارة المؤلف عن الخزف نرى أنه كانت لديهم من الحفلات والألعاب ما يمكن أن يدفعهم إلى مراعاة الدقة فى صدق تمثيل الطبيعة . ولكنى أظن أن السبب فى ذلك هو كما قال الأستاذ لورنس بنيون[١٤] : « إن الروح التى تسود التصوير الإيرانى هى روح الخيال ، فالإيرانيون يحبون ما هو عجيب ومدهش . والخيال بالنسبة لنا (للأوربيين) هو الهروب من عالم الحقيقة إلى عالم العجائب . أما بالنسبة لهم (للايرانيين) فهو نسيم الحياة »

ويستشهد المؤلف فى ص ١٢٩ بمثال ضربه الأستاذ لورنس بنيون ولكنه لم يذكر المرجع . وإنى أظن أنه أخذ هذا المثال من مقال الأستاذ بنيون فى S. P. A.[١٥]

وفى ص ١٣٠ يقول المؤلف « أجل ، إن تصوير المناظر الطبيعية لم يكن عندهم فرعاً مستقلاً من فروع التصوير ، ولم

---

(١٢) أنظر رأى الأستاذ كريسويل فى هذا الموضوع فى كتابه Early Muslim Archikchwre ص ٢٦٩ — ٢٧١ .

(١٣) فى S. P. A. ج ٣ ص ١٨٣١ حاشية ٣ .

(١٤) أنظر : Laurence Binyon, The Qualities of Beauty in Persian Painting, in : S. P. A. III, p. 1913

(١٥) نفس المرجع ص ١٩١٣ .

تكن له المكانة التى وصل إليها عند الغربيين والصينيين ، ولكنهم عرفوه . ولم ينصرفوا عنه لعجز ، وإنما لأنه لم يوافق طبيعتهم الفنية . واعتقادهم أن الإنسان هو المحور الذى تدور حوله هذه الحياة . فالفنان الإيرانى يأخذ من الطبيعة ما يريد ، ولكنه لا يتقيد بها .

وقد جاءت هذه العبارة شديدة الاقتضاب بحيث يمكن أن يفهم منها عكس ما يريد المؤلف قوله ، وإنى أورد فيما يلى عبارة مماثلة من مقال الأستاذ لورنس بنيون[١٦] لشرح ذلك :

« لا تختلف التقاليد الصينية واليابانية فى التصوير اختلافاً جوهرياً عن تقاليد الفنانين الإيرانيين فيما يختص بالصور المخصصة لرسم الأشخاص أو الصور التى يرى عليها أشخاص فى وسط مناظر طبيعية . أما المناظر الطبيعية نفسها فإنها وإن كانت معروفة فى الفن الإيرانى ، إلا أنها لم تصل إلى الدرجة التى تكون فيها كفرع مستقل من فروع التصوير ، فلم تصبح أبداً مرآة تنعكس فيها أعمال الإنسان ، بل كانت تمثل فقط صورة لأحد المناظر . وكانت للمناظر الطبيعية فى الصين هذه الدلالة ، بل وأكثر من ذلك ، فإنها كانت محاولة التعبير عن صلة الإنسان بالكون ، وبما أن الكل أعظم من الجزء ، وحياة الإنسان جزء من الطبيعة ، لذلك نرى أن الصينيين ينزلون تصوير المناظر الطبيعية فى أعلى منزلة بين فروع التصوير . وهذا الاختلاف فى طبيعة الفن يأتى من الاختلاف فى تكوين عقلية الشعوب . فمند الإيرانيين ، كما هو الحال عند الأوربيين فى أغلب الأحيان ، نجد أن الإنسان وأعمال الإنسان هى الوضوع الرئيسى الذى تعطى له أهمية خاصة ، أما الطبيعة فتبقى فيما بعد ذلك ، ولا تدرس لنفسها »

وفى هذا المعنى يقول الأستاذ بوب والدكتور أكرمان[١٧] ما يلى : « الحديقة موضوع رئيسى فى كثير من الفنون الإيرانية ... وقد أدى استعمال لوحات القاشانى فى المبانى إلى إمكان تحويل مبنى بأكله إلى مجموعة ذات ألوان بهجة من الزهور ، تكوّن كتلة واحدة مع الحديقة ذات الزهور الحقيقية التى يقوم المبنى فى وسطها ... وقد تركت الديانة الزردشتية الحياة فى الآخرة غامضة ومبهمة ؛ أما الإسلام فقد كان صريحاً فى ذلك ووعد المتقين بحياة خالدة فى جنات النعيم

(١٦) نفس المرجع ص ١٩١٢ — ١٩١٣ .

(١٧) انظر الحدائق للاستاذ Pope والدكتور Ackerman ، فى S. P. A. ج ٢ ص ١٤٢٧ .

ويقول الأستاذ بوب[١٨] وقد كان معروفاً أن الإيرانيين لم يباشروا أبداً تصوير المناظر الطبيعية الخالصة ، ولكن لا يكاد المرء يكون نظرية فى أى فرع من فروع الفن الإيرانى حتى يظهر اكتشاف جديد يقضى على هذه النظرية ، وقد وجد الدكتور أجا أوغلو فى استانبول اثنتى عشرة غاية فى الإبداع والجمال ، من المناظر الطبيعية الخالية من أية صورة آدمية .

وقد نشر الدكتور محمد أجا أوغلو تسعاً من هذه الصور[١٩] وهو يقول عن تصوير المناظر الطبيعية ما يأتى[٢٠] :

« وإذا حكمنا بما وصل إلينا من الصور إلى الآن ، نجد أن تصوير المناظر الطبيعية لم يعالج كفرع قائم بذاته من فروع التصوير فى إيران ... وليس هذا معناه أن تمثيل الطبيعة كان غريباً على الفنانين الإيرانيين ، فقد كانت المناظر الطبيعية والمبانى فى أشكالها المختلفة موضوعاً محبوباً لديهم لتمثيل الفروسية والحماسة والمناظر الأخرى . ومنذ بدء ارتقاء فن التصوير يمكننا أن نلاحظ ابتهاجاً آخذاً فى الازدياد فى معالجة المناظر الطبيعية كموضوع زخرفى » . « له بقية »

محمد مصطفى

(١٨) انظر : a. u. Pope, An Introduction to Persian Art ص ١٢٧ — ١٢٨ .

(١٩) فى مجلة Ars Islamica ج ٣ سنة ١٩٣٦ ص ٧٧ — ٩٨ راجع أيضا الأستاذ Kühnel تاريخ التصوير والرسم ، فى S. P. A. ج ٣ ص ١٨٢٩ (٢٠) نفس المرجع ص ٨١ و ٨٥ .

حكم استئنافياً بتغريم عبد الرازق عبد السميع التاجر بمصر الجديدة بالقضية ت ٩٧٠٤ بجلسة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ جنيهاً ونصف لبيعه دقيقاً بأزيد من التسعيرة

البريد الأدبي

إعجاب وتقدير

أيها الأستاذ الجليل (***)

إني ليطربني يا سيدي أن أقرأ لكم هذه المقالات القديرة، الزاخرة بالفائدة، في نقد الطبعة الأخيرة من (العقد الفريد).

وليست تلك النقدات وحدها هي التي سبتني من علمك الغزير، واطلاعك المنقطع النظير، وإحاطتك بما تكنّه ضمائر أسفار السابقين الأولين من أئمة اللغة وحفاظها، بل قد تتبعت في الرسالة الغراء كل ما دبّجته براعتك منذ أول عهدك بها، لم تفتني منه فائتة؛ بل لقد اتخذت منه دروساً أتوفر عليها وأعكف على الإفادة منها، والتضلّع من مَعِينها الفيّاض.

وإني لأعجب يا سيدي كل العجب — في هذا العصر الذي يُباهَى فيه بالقشور وسُخْف القول — كيف تتستّر وتحتجب، وتقف في تواريك هذا وعزلتك مرشداً وهادياً، لا تبغي غير خدمة وطنك ولغتك.

وإن أسفت على هذا التستّر والاحتجاب، فإنما أسفي على أن أمثالي من طالبي المعرفة يودّون لو أتيحت لهم فرصة لقائك، ليستزيدوا منك، وليتحلّوا بما يشهدون فيك من كمال الخُلق، ولكنك زَهدْتَ في نباهة الذكر، وعفتَ الإعلان، وآثرت العمل في جوٍّ خالٍ من الصخَب والضوضاء

ضربت يا سيدي المثل في التواضع وإنكار الذات، وضربته في طُهْر قلبك من لوثة الزهو والعجب والمباهاة. فليتعلم من هذا المثل الصالح مَنْ يتصاولون على صفحات الجرائد والمجلات، فَيَدَعون ما يتصاولون من أجله، ويخرجون إلى ميادين العيب والتجريح. ليتعلم هؤلاء منك ومن أمثالك الأعفاء، أن يقصروا أقلامهم على ما يدافعون عنه من عقيدة: الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان. ولينسوا أنفسهم وأهواءهم في سبيل الحق، وليدَعوا شهوة الانتقام والتشفي، فإن أوقات القراء لأنفس من أن تبعثر في مثل هذا اللغو والزور من القول.

مزيداً مزيداً أيها الباحث الجليل، فإنا إلى علمك وفضلك وخُلقك لَعطاشى

(ا. ع)

مقالة الأستاذ السباعي بيومي

أثبتت مقالة الأستاذ الكريم ما قلته في غنى اللغة واستفادة الناس من خطأ الكبار في بعض الأوقات، فأعطي لسان العرب ما أعطاه إياه، وأفاد القوم بما أملاه وإن أحب أن يخالف الأئمة: سيبويه والزمخشري والتبريزي والرضي وابن هشام. فهل يمن اليوم (أطال الله بقاءه ولا زال في حصن العربية: (دار العلوم) من أكبر حماته وحماتها) بملاوات، بشواهد لجاهليين أو إسلاميين أو المولدين الأولين متفضلاً بمراجعة ما قال الأئمة في قوله تعالى: «فلا اقتحم العقبة» وحياه الله، وحيا ربعه!

ناقد

الفقر

الحرب قائمة في هذه الأيام بين الأديب الكبير الدكتور زكي مبارك وبين جماعة من أجل مقالة نعى فيها الدكتور على الفقراء (المساكين) كسلهم وتواكلهم وغير ذلك. وقد ذكرني البحث في الفقر والفقراء — والشيء بالشيء يذكر — بقول موجز للراغب في (الذريعة) فأحببت نشره في (الرسالة) الغراء وإن كان فقراء (الراغب) يخالفون فقراء (الدكتور زكي مبارك). فالراغبيون يبعثهم الفقر على الكد، والمباركيون دعاهم فقرهم إلى الكسل ... قال الراغب

«حصول الفقر وخوفه المنتجان للحرص هما الباعثان على الجد واحتمال الكد ومنفعة الناس إما باختيار وإما باضطرار. وقد قيل: قيام العالم بالفقر أكبر من قيامه بالغنى، لأن الصناعات القائمة بالغنى ثلاث: الملك والتجارة والكتابة، وسائرها قائمة بالفقر؛ فلو لم يكن الفقر وخوفه فمن كان يتولى الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة، ومن كان ينقل البر والملابس من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال؟ وعلى منفعة الفقر نبه الله تعالى بقوله: (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض)

ومن تدبر صنع الله تعالى فى ذلك وتأمل ما أشار إليه فى هذه الآيات التى ذكرها لم تعرض له الشبهة التى تعرض لمن يقول : (إذا كان الله جواداً واسعاً فلم خص بعضهم بالغنى ، وجعل أكثرهم فقراء ؛ ومن حق الغنى الذى لا يفنى غناه ، والجواد الذى لا يعرف لجوده منتهاه ، ألا يخص بالعطية بعضاً دون بعض) وذلك أن الجواد هو الذى يعطى كل أحد بقدر استئهاله على وجه يعود بمصلحته ومصلحة غيره وقد فعل ذلك بالعباد .

ذالكم قول (الذريعة) ، وتلكم شرعة الدنيا إلى أن تشاء المقادير ، تبديل المساتير .

« باحث »

فى العقد

ورد فى مقالة الأستاذ (الجليل) الذى يستدرك ما فى طبعة العقد من الخطأ البيتان الآتيان :

جانبك من يجنى عليك وقد تُعدِى الصحاحَ مباركُ الجرب
ولرب مأخوذٍ بذنب عشيرِه ونجا المقارف صاحب الذنب

وقد اختلفت روايات البيت الثانى فى الكتب ، والرواية التى ذكرها الأستاذ تجعل صدر البيت (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) مع أنها فى صدر الأبيات الأخرى وفى عجزها أيضاً على وزن (متفاعلن متفاعلن فَعِلن أو فَعْلُن) فتجعل قول الشاعر (ولرب مأخوذٍ بذنب عشيرِه) شاذاً زائداً عن كل صدر وعجز وإن كان وزنه كاملاً تاماً . وشذوذ هذا الصدر مما لا تسيغه الأذن وإن كان العرب قلما كان يكرثهم أن يشذ الشاعر منهم فيخرج من ضرب إلى ضرب ويرد التفعيلة إلى تمام مبناها فى بعض أبيات قصيدته . لكن اختلاف الرواية إذا أضيف إلى الشذوذ والنبو فى الأذن يجعلنا نأخذ برواية البيت التى هى على ضرب وزن الأبيات الأخرى والتى يتفق فيها الصدر والعجز وهذه الرواية هى :

ولرب مأخوذ بلا ترةٍ ونجا المقارف صاحب الذنب

وورد أيضاً (بلا تِرَةٍ) أى من غير وتر ؛ وأورده صاحب مجموعة المعانى (ولم يقترف) ولكن روايته تغير فعلن إلى فاعلن . أما الزيادة فى المعنى التى أوجبت الزيادة فى ضرب الوزن فى قوله (بذنب عشيره) فغير ضرورية لأن المأخوذ ظلماً قد يؤخذ ظلماً بذنب غير عشيره . ونرجو من أستاذنا الجليل أن يردنا إلى الصواب إن كان فى قولنا خطأ .

عبد السميع صبرى

وأد البنات عند العرب فى الجاهلية

ذكر الأستاذ على عبدالواحد وافى فى العدد الممتاز أنه لا يصح إرجاع وأد البنات عند العرب فى الجاهلية إلى فقرهم ، لأن ذلك كان يفعله أغنياؤهم وفقراؤهم ، ولا إلى غيرتهم على أعراض البنات ، لأن ذلك يرجع عند من يراه إلى قصة قيس بن عاصم . ووأد البنات أقدم منها عند العرب ، وقد رأى أن يرجع ذلك إلى سبب استنبطه من الآيات القرآنية التى وردت فى وأد البنات ؛ وهو أن بعض العرب كانوا يعتقدون فى البنات أنهن من خلق إله اليهود ، وكانوا ينظرون إليه نظرة كنظرتنا الآن إلى الشيطان ؛ أما الذكور فمن خلق آلهتهم ، ولهذا كانوا يعتقدون فى البنات أنهن رجس يجب التخلص منه بالقتل ، ثم ساق الآيات التى استنبط ذلك منها ، فساق أولاً قوله تعالى : (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون . ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ؛ أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساءوا ما يحكمون) الآيات ٥٦ — ٥٩ من سورة النحل ، وقد فسر البنات فى ذلك بالأناث من البشر ، وحمل قوله تعالى (ولهم ما يشتهون) على أنهم يجعلون لآلهتهم ما يشتهون من البنين ، وكل من التفسيرين غير صحيح ، لأن المراد من البنات الملائكة الذين كانوا يقولون عنهم أنهم بنات الله ، والمراد من قوله تعالى (ولهم ما يشتهون) أنهم يجعلون لأنفسهم لا لآلهتهم البنين الذين يشتهون ، فينسبون لله من البنات ما يكرهونه لأنفسهم ، وهذا هو الذى ينطق به ما ساقه من باقى الآيات ، كقوله تعالى : (وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين ، أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ، وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد

الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) الآيات ١٥ — ١٩ من سورة الزخرف ، فمن جعلوهم جزءاً هنا لله هم البنات فى آيات النحل ، وهم الملائكة الذين جعلوهم أناثاً هنا ، والمراد أنهم جعلوهم أولاد الله ، فأين هـذا من تفسير الأستاذ وافى لهم بالبنات من بنى آدم ، وأن العرب كانت تعتقد أنهن خلق الله لا خلق آلهتهم ، وكذلك قوله تعالى (وأصفاكم بالبنين) صريح فى أنهم كانوا يجعلون البنين لأنفسهم ، وليس الأمر كما فهمه الأستاذ وافى من أنهم كانوا يجعلونهم لآلهتهم ، وأصرح من هذه الآيات فى ذلك قوله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيما) .

فليس فى شىء من الآيات التى ساقها الأستاذ وافى ما يفيد أن العرب كانوا يعتقدون أن بناتهم من خلق الله ، وأنهم كانوا يئدونهن كرهاً لهن لأنهن غير مخلوقات لآلهتهم . وليت شعرى بعد هذا من أين أخذ الأستاذ وافى أن العرب الذين كانوا يئدون البنات كانوا يعتقدون فى الله تعالى ذلك الاعتقاد ، وينظرون إليه كما ننظر إلى الشيطان ، وهم الذين قال الله فى حقهم من سورة الزخرف أولاً (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) الآية — ٩ — ثم ذكر بعد ذلك الآيات السابقة فى نسبتهم البنات من الملائكة إليه تعالى

والحق عندى أن وأد البنات كان بعضه للفقر من الفقراء ، وكان بعضه لخوف الفقر من الأغنياء ، وكان بعضه لخوف العار والسبى ، ولا مانع من أن يكون بعضه لعقيدة دينية غير التى يذكرها الأستاذ وافى ، فقد كان الرجل يحلف فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب بن هاشم

عبد المتعال الصعيدى

حول سقط وكبا

جاء فى مقال الأب الفاضل أنستاس مارى الكرملى المنشور بعدد الرسالة ٤٠٢ تحت « كلمة حق » يستنكر فيه تعبير الأستاذ اسماعيل مظهر لكلمة « سقط وكبا » ؛ ويقول فى هامش صفحة ٣٢٠ هذه العبارة : « كذا بتقديم السقوط على الكبو لا يعرفه إلا سكان جزرة الوقواق »

فهذا التعبير ، وقد أجازته لغة القرآن فى كثير من آيها ، والواو فيه للجمع المطلق ، ولا تقتضى الترتيب بدليل قوله تعالى حكاية عن منكرى البعث « وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا » ، وإنما يريد نحيا ونموت ، وفى آية ثانية « فكيف كان عذابى ونذر » ، والنذارة قبل العذاب بدليل قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » ؛ وفى آية ثالثة « إنى متوفيك ورافعك إلى » ، فإن وفاته عليه السلام لا تقع إلا بعد الرفع

حسين سلامه دياب



ما ليس يفهمه الطفل

قصة روسية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

« نيقولاى أليتش » رجل من أغنياء بطرسبرج يبلغ الثانية والثلاثين من العمر ، وهو ممتلئ الجسم ، قوى البنية ، محمر الوجه . وكان قد اتخذ من زوجة المسيو « أرنين » خليلة له ، فقضى معها شطراً من الزمن فى غرام حار متبادل ، ثم خمدت جذوة حبه ، فصار يتردد على منزلها بين حين وحين ، وبينهما نوع من الحب الفاتر …

وزارها فى يوم من الأيام ، فلم يجدها ، وجلس ينتظرها فى غرفة الاستقبال ، فدخل ابنها الصغير وحياه وقال : إن أمه ستعود سريعاً ، وهى الآن عند الخياطة مع أخته « صونيا » …

وكان عمر هذا الطفل ثمانية أعوام ، واسمه « أليوشا » ، وهو حسن البزة ، قوى البنية ، عليه ثوب نظيف من القطيفة ، وفى قدميه جورب أسود طويل ؛ وكان يلعب ألعاباً رياضية ، مستمتعاً بما وهبه الله من صحة جيدة … وبدأ الرجل يحدثه ليمضى الوقت ولكى يداعبه ، فقال : هل أمك فى صحة جيدة ؟

فأقبل الطفل نحوه وقال : « إنها لم تكن قط فى صحة جيدة ، وهى كل يوم تشكو من مرض » ، وأخذ الرجل يتأمل فى وجه الطفل ليرى فيه محاسن أمه فى صباها يوم كان حبهما لا يزال فى سورته وسأله عما يتلقاه فى المدرسة ؛ فقال إنه وأخته صونيا يحفظان قطعة من الشعر الفرنسى . وقال الرجل للطفل : « هل حلقت شعرك اليوم ؟ » فقال : « نعم . وأنت حلقت أيضاً ، لأن لحيتك أصغر من العادة . أتأذن لى أن أمسكها ؟ »

قال الرجل : « لا لا ! لن آذن بذلك » فقال الطفل : « لماذا ؟ هل يؤلمك أن أنزع شعرة أو شعرتين ؟ »

ثم أمسك السلسلة الذهبية المعلقة فى صدر إيليتش وقال : « إن أمى قد وعدتنى أن تشترى لى ساعة إذا انتقلت من فرقتى . إن هذه السلسلة كالتى فى صدر أبى »

قال إيليتش : « ومن أخبرك بذلك ؟ هل رأيت أباك ؟ »

فتلعثم واضطرب وقال : « أنا … كلا ! »

ولكن الرجل نظر إليه نظرة حادة وقال : « هل رأيت أباك ؟ » فقال : « كلا … كلا ! »

فقال الرجل : كن شريفاً فإنى أرى من ملامحك أنك تكذب . قل لى : هل رأيت أباك ؟ فقال الطفل همساً : « وهل تعدنى ألا تخبر أمى »

فقال : « أعدك »

قال الطفل : « وهل تقسم بشرفك ؟ »

فقال الرجل : « نعم أقسم »

فنظر الطفل حوله وقال بصوت منخفض : « أستحلفك ألا تخبرها فإنها لو علمت لضربتنى أنا وصونيا والخادم … أنا وصونيا نقابل أبى كل يوم من أيام الإثنين ، وذلك لأنه اتفق مع الخادم على أن يمر بنا على حانوت ينتظرنا فيه ، وهناك يشترى لنا فواكه وحلوى وبيضاً ويحدثنا »

قال الرجل « يحدثكم بماذا »

فقال : « بكل شىء ، ويقبلنا ويقص علينا قصصاً جميلة ، ويقول إنه سيأخذنا لنعيش معه متى كبرنا . وقد قالت له صونيا لا ، ولكننى قلت له نعم ، وسأبتعد عن أمى ولكنى سأراسلها وأزورها فى أيام العطلة . ويقول أبى إنه سيشترى لى جواداً ، وأنا لست أعرف لماذا لا تدعوه أمى للمعيشة معنا ؟ ولماذا لا تقابله مع أنه يحبها ويسألنا عنها دائماً . ولما مرضت وأخبرناه بذلك بكى وأمرنا باحترامها وطاعتها … ألسنا بائسين ! ؟ »

قال الرجل : كيف ؟

فاستمر الطفل يقول : أبي قال ذلك ، وقال إن أمي بائسة ، وقال لي كلاماً غريباً لم أفهمه ، لأنه أمرني بأن أصلي من أجلها

قال الرجل : إذن فأنتم تتقابلون بغير أن تعلم أمك ؟ فقال : لا نستطيع أن نخبرها ، فقد أكد علينا الخادم بذلك . وبالأمس قابلت أبي واشترى لي كثيرى !

قال الرجل : ألم يتكلم أبوك عني ؟

فأجابه الطفل : عنك ! ؟ لماذا ؟ ثم هز كتفيه .

فسأله الرجل : ألم يقل شيئاً ؟

قال الطفل : ألا يغضبك ما يقول ؟

فأجاب الرجل : لماذا ؟ هل شتمني ؟

قال : كلا . . . ولكنه قال إن أمي بائسة بسببك ، وأنك أفسدت سعادتها ؛ وقد قلت له إنك لا تسبها ولا تهينها ، فهز رأسه !

قال الرجل : هل أبوك يقول إنني أفسدت سعادتها ؟

فقال الطفل : نعم ، ولكن لا تغضب فأنت وعدتني

عند ذلك مشى أليتش في الغرفة ذهاباً وجيئة وقال وهو يهز كتفيه ويبتسم ابتسامة المتهكم : « أنا أفسدت سعادتها ! أنا ؟ هل قال ذلك يا أليوشا ؟ »

فقال الطفل : « ألست وعدتني ألا تغضب ؟ » فقال : « أنا لم أغضب ولكن هذا شيء عجيب . . . أنا أقع في الفخ ولا أسلم من اللوم »

وهنا دق الجرس ، فجرى الطفل نحو الباب ، ودخلت أولجا أم أليوشا وخليلة أليتش ، وقال الأخير عند ما رآها : « نعم نعم إنه مظلوم فهو الزوج المخدوع »

قالت أولجا : « ما الخبر ؟ »

فقال : « اسمعي ما يقوله زوجك ... إنه يقول إنني أفسدت سعادتك وسعادة أولادك »

قالت أولجا : « لست أفهم ما تقول يا أليتش ؟ »

فقال : « سلي ابنك »

فنظرت الأم إلى ابنها في دهشة ، ونظر الطفل إلى أليتش في انزعاج ، وقال الأخير : « إن خادمك يأخذه ويأخذ صونيا إلى حانوت يقابلهما فيه زوجك الذي يحسب نفسه شهيداً ، ويحسبني أفسدت حياته وحياتك »

عند ذلك صاح الطفل : « أنت حلفت لي بشرفك »

فأشار أليتش بيديه وقال : « إن هذا أمر أهم من يمين الشرف »

فقالت أولجا والدموع تملأ عينيها : « أخبرني يا أليوشا متى قابلت أباك ؟ »

فلم يصغ إليها الطفل لأنه كان ناظراً نظرة غيظ إلى أليتش وقالت الأم : « هذا محال ! سأذهب وأسأل الخادم »

ثم خرجت وصاح الطفل وهو يرتعش : « ألم تقسم لي بشرفك ؟ »

فأشار الرجل بيديه مرة أخرى ثم لم يعد يلحظ وجود الطفل فهو رجل ضخم الجثة لا يعبأ بالأجسام الصغيرة ، وجلس أليوشا في ركن من الغرفة يخبر أخته كيف خدعه الرجل حتى عرف سره ؛ وكان يرتعش ويبكي ، وكانت هذه أول مرة وقف فيها وجهاً لوجه أمام أكذوبة . وكم في الدنيا من أشياء لا أسماء لها في لغة الأطفال !

عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)